

تُحْفَةُ الْأَصْحَابِ

فِي فِضَائِلِ الْأَصْحَابِ

من إصدارات جمعية الآل والأصحاب - مملكة البحرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

يقول الله عز وجل : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩].

ففي هذه الآية العظيمة قد زكى الله ﷺ ظاهر الصحابة رضي الله عنهم، وباطنهم؛ فقد

وصفهم ﷺ بأنهم رحماء بينهم، ولا جدال في أن من مقتضيات الرحمة صفاء القلوب وطهارتها، وما يترتب على ذلك من حميمية ومحبة وألفة، أمر معلوم لكل عاقل منصف؛ ولا شك أن جيل الصحابة رضي الله عنهم هذا الجيل المثالي، هم أول من خوطب بهذه الآية الكريمة، فكان لزاماً أن تشملهم قبل غيرهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ؛ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ" رواه أحمد

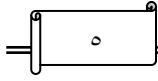
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ".

فصدق فيهم قول الله ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثم نبتت في الإسلام نابتة، أقدمت على وجوه الصحابة الأخيار، وعيون الأتقياء الأبرار، الذين سبقوا إلى الإسلام، واختصوا بصحبة رسول الأنام ﷺ، وشاهدوا المعجزات، وقطعت أعدارهم الآيات، وصدقوا بالوحي، وانقادوا إلى الأمر والنهي،

وجاهدوا المشركين، ونصروا رسول رب العالمين حين كفر الناس، وصدَّقوه حين كذَّبه الناس، وعزروه، ونصروه، وأَوْوَّه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام = فأحالت فضائل هؤلاء إلى مثالب، وزعمت أن شرهم كان هو الغالب، وجعلت من خير القرون شر البرية، ومن أفعالهم غاية الرزية. فلم يتركوا وسيلة للحط من أقدارهم إلا وسلكوها، ولا فضيلة ثبتت في الكتاب إلا وردُّوها، ولا منقبة جاءت في السنة إلا وكذَّبوها، ولا كرامة وردت في أثر أو عن إمام إلا وأوَّلوها، ولا آية نزلت في المنافقين إلا فيهم جعلوها. فلمَّا لم يجدوا إلى ذلك من سبيل، وأعيتهم الحيلة، وأعجزهم الدليل، وضعوا من الأكاذيب ما وضعوا. واخترعوا من الأفاقيص ما اخترعوا، فخلصوا من حيث أرادوا - أو حتى من حيث لم يريدوا إلى أن جهود خاتم الأنبياء والمرسلين طوال الأعوام الثلاثة والعشرين لم تحقق سوى بضع نفر أقاموا على الدين، وأضحى سائر الأصحاب منافقين ومرتدين، ناصبوا العداة لأهل بيت خير الأنبياء والمرسلين، فخالفوا الرسول وعاندوا أهله، ولم يسلم منهم أحد بعده، واجتمعوا على غضب حق الإمام، وإقامة الفتنة في الأنام، واستأثروا بالخلافة، وسارعوا إلى التروُّس على الكافة.

فكان من أمر هؤلاء أن لبَّسوا الأمر على الأتباع والمريدين، وأضاعوا بفعلهم هذا معالم الدين، حتى صار عندهم الحق باطلاً، والباطل حقاً، بل وجعلوا لعنهم وسبَّهم والإساءة إليهم قربةً من أعظم القربات، وعدُّوا التسابق إلى الحط من قدرهم طاعةً من أعظم الطاعات، وتغافلوا عما نزل في تعظيمهم من آيات بينات، وما جاء في علو منزلتهم



تُحْفَةُ الْأَحْبَابِ فِي فِضَائِلِ الْإِصْحَابِ

ورفعة قدرهم من أدلة واضحات.

ونسوا - أو تناسوا - أن الله عز وجل لم يأمرنا بالسب، ولم يحثنا على اللعن، هذا لمن استحقها وهو إبليس، بل لو أن مسلم عاش عمر نوح عليه السلام لم يلعن إبليس، فإن الله عز وجل لن يسأله عن ذلك، ولن يكون هالكا بتركه اللعن.

والمقصود من تأليف هذا الكتاب أن يكون مرجعاً سهلاً لمن أراد معرفة الحق بدليله في مسألة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وسوف نقتصر على إيراد ما جاء من آيات وأحاديث وأقوال في هذا الباب مع الإيجاز والاختصار قدر الإمكان.

ولا شك أن هذا الكتاب في هذا الموضوع له نظائر كثيرة بين مطولات وأخرى مختصرة، ولكن ألفناه استجابة لطلب بعض أهل الفضل والعلم، وعسى أن ينفع الله عز وجل به فئاما من الناس فإنه سبحانه إذا أراد أمراً هياً أسبابه.

وفي الختام نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تعريف الصحابي

لغَةً : هو من طالت صحبته وكثرت ملازمته على سبيل الاتباع^(١).

اصطلاحاً : هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة، مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان^(٢).

(١) جامع الأصول لابن الأثير ٧٤/١.

(٢) يُنظر: فتح المغيث ٧٤/٤ وما بعدها، والباعث الحثيث ١٦٩، ١٧٢ هامش رقم ١ ، ودفاع عن السنة ١٠٨ ، والإصابة ٦/١ .

فضائل الصحابة من القرآن الكريم

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على تعديل الصحابة الكرام، مما لا يبقى معه شكٌ لمرتاب في تحقق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون حجة إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، وذلك عن طريق النظر في تراجمهم وأحوالهم إلا الصحابي؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارة ظواهرهم، وبواطنهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويكفي أن اختارهم الله ﷺ لصحبة نبيه ﷺ .

ولبيان هذه المسألة نقول أولاً وقبل كل شيء : لا بد لنا من بيان أن الأصل عندنا هو ثناء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة رضي الله عنهم .

فالقرآن الكريم مليء بعشرات النصوص الدالة على إيمان وفضل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم، كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالَّذِينَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٢ - ٦٤].

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : ١٤٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن معنى كلمة (وسطاً) عدولاً خياراً، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة. وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: إنه وارد في الصحابة دون غيرهم. فالآية ناطقة بعدالة الصحابة ﷺ، قبل غيرهم ممن جاء بعدهم من هذه الأمة.

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ووجه الاستدلال: أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول هم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخاطبة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك، كما أنه يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً أي عدولاً وهم غير ذلك^(١).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤ - ٧٥].

(١) الموافقات للشاطبي ٤/٤٠، ٤١.

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان، وأكدته بقوله :

(حقاً). ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مراتب العدالة.

وقوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠].

ووجه الدلالة : أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه، بل إن الله تعالى لا يرضى إلا عن رضى؛ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولا شك أن الله عز وجل لا يرضى لعباده اتباع من خالف نهجه ثم يعدهم الجنات والفوز العظيم لولا أنهم تمسكوا بهدية ونالوا رضاه. فبمجموعهم ارتفع عنهم الخطأ والضلالة فكانوا القدوة وأصبحوا بذلك أولى، وأول من شملهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "إن الله تعالى قد أجاز أمتي أن تجتمع على ضلالة" (١).

وفي هذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : "وما كان الله ليجعلهم أي المهاجرين

(١) حسنة الألباني. مجموع طرقه حيث قال : قلت : فالحديث. مجموع هذه الطرق حسن. أنظر الضعيفة 1510.

والأنصار - وفي لفظ : ليجمعهم - على ضلالة ولا يضرهم بالعمى"^(١).

وقال البغوي رحمه الله تعالى : "قال أبو صخر حميدة بن زيادة : أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له : ما قولك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة محسنهم ومسيئهم ، فقلت : من أين تقول هذا ؟ قال : اقرأ قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ . وقال ابن كثير رحمه الله : "فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فإيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم"^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى . ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً ... فكل من أخبر الله عنه أنه رضي الله عنه فإنه من أهل الجنة ، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح ؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له ، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك"^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٨٩ ، ١٠/٢٨٥ ، أعيان الشيعة لحسن الأمين ١/٤٧١ ، بحار الأنوار للمجلسي ٣٢/٣٨٠ ، ٣٣/٧٨ ، مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ٤/٢٧ ، كتاب الأربعين للقمي ١٦٤ ، الغدير للأميني ٩/١٥٧ ، ١٠/٢٩٨ ، نهج السعادة للمحمودي ٤/٩٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢/٣٦٧ .

(٣) الصارم المسلول ، لابن تيمية ، ٥٧٤-٥٧٥ .

والآية نص صريح على وجوب التمسك بهم ، وفي المقابل حذر من مخالفتهم ، وتوعد بالنار من أخذ بغير سبيلهم فقال : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥]. ولم يكن المؤمنون الذين حذر الله من مخالفتهم في هذه الآية عند نزولها سوى المهاجرين والأنصار الذين صرح الله تعالى بوجوب اتباعهم في الآية الأولى شرطاً لرضاه.

وليس هؤلاء السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار قلة قليلة كما يحاول أن يصوره البعض . بل هم كثيرون جداً كما أخبر الله تعالى فقال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة / ١٠-١٤].

كما أن أصحاب اليمين في المهاجرين والأنصار كثيرون . وذلك ما أخبر الله به فقال : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ٣٩-٤٠].

ولا يمكن حمل هذه الآيات على سابقى الأمم السالفة كاليهود والنصارى لأنهم في كل أمة قلة وليسوا (ثلة) ، كما وصفهم القرآن الكريم. وذلك ثابت فيه وواضح لمن تدبر ما قصه الله علينا من أعمالهم وأخلاقهم ومعاملتهم لأنبيائهم عليهم السلام. (فالسابقون) في أول كل أمة ليسوا كثيرين. إلا في أمة الإسلام فإنهم (ثلة من الأولين).

وإذا أخذنا مثلاً أولى العزم من الأنبياء الذين هم أفضل الأنبياء عليهم السلام وهم :

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى :

فإن نبي الله نوحاً عليه السلام يخبر الله تعالى عنه فيقول : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُوْرُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود : ٤٠].

وكذلك أتباع إبراهيم عليه السلام : ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت : ٢٦].

وتأمل ما أخبرنا الله تعالى عن أوائل أمة موسى عليه السلام فقال : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء : ٦١]. (أصحاب موسى) هكذا جاء اللفظ عاما دون استثناء. ولذلك أفرد موسى عليه السلام نفسه بالمعية حين رد عليهم قولهم فقال : ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء : ٦٢] ، ولم يقل : (ان معنا ربنا

سيهدينا) كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

لصاحبه ﴿ لا تحزن إن الله معنا﴾. فشرکه معه في المعية.

ولما عبروا البحر وقد أنجاهم الله تعالى من فرعون لتوهم و ﴿أَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨].

بل عبدوا العجل في غيابه! ولم ينكر عليهم سوى هارون عليه السلام. لكنهم لم يطيعوه. فلما دعا بالمغفرة والرحمة ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥١]، فخص نفسه وأخاه هارون فقط!

ولما سار إلى الأرض المقدسة وأمرهم بدخولها : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾.

ولم يستجب له إلا رجلان. رجلان فقط!! كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْتُكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾. لكنهم قالوا جازمين : ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾. فقال موسى وهو يعتذر إلى الله ويشكو من (قلة) الأعوان : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾.

وهذا يعني أنه لم يكن في قوم موسى عليه السلام إلا اثنان يمكن أن يوصفا بهما (السابقين). وأن البقية فاسقون. فلا يصح أن يكونوا معنيين بقوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾. ولذلك عمهم الله تعالى جميعاً بالعقاب فقال : ﴿فَاتِمَّهَا

مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾ [المائدة :
٢٠-٢٦].

أين هؤلاء من أهل بدر؟! الذين قال قائلهم : (يا رسول الله امض لما أمرك الله فوالله لا
نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾
[المائدة : ٢٤]. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون). وقال آخر : (امض لما
أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك)^(١).
فنصرهم الله تعالى نصراً مؤزراً حتى سمي يوم بدر بيوم الفرقان الذي فرق بين الحق
والباطل. وأورثهم ديار الكافرين وأموالهم.

وأنزل فيهم قوله الشريف في أول سورة الأنفال : ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾
[الأنفال : ١١].

وأنزل الملائكة تقاتل معهم تأييداً لهم : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا
الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وكلهم آمنوا وثبتوا فلم ينهزم منهم أحد.

وأنزل فيهم في أواخرها قوله : ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْأَفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال : ٦٢-٦٣]. وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ

(١) رواه البخاري وأحمد. والقائل هو المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿[الأنفال : ٧٢]. وقوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿[الأنفال : ٧٥].

وأما أمة عيسى عليه السلام فلم يكن فيهم من الأتباع الخُلص إلا اثنا عشر- رجلاً! ارتد واحد منهم هو يهوذا الإسخريوطي!! فما بقي منهم إلا أحد عشر.. وهذا العدد لا يمكن وصفه بـ(الثلة). فليسوا هم المعنيين بقوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة : ٣٩-٤٠].

ولقد صدر من هؤلاء الحواريين أمور تدل على أنهم لم يتخلصوا تماماً من طبيعتهم المادية اليهودية. مثل طلبهم من نبيهم عليه السلام مائدة تنزل من السماء، دليلاً على صدقه. كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِئُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة : ١٢-١١٣]. تأمل قولهم : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ... [المائدة : ١١٢]! وقولهم : ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا...﴾ [المائدة : ١١٣]!!

أما أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا نعرف أحداً منهم أسلم بسبب خارقة سماوية سوى هذا القرآن. لقد كان عمر رضي الله عنه من أشد الناس عداوة للرسول صلى

الله عليه وآله وسلم لكنه ما أن سمع مطلع سورة (طه) حتى خشع لها ودمع وآمن. وقال :
(دلوني على محمد حتى أسلم على يديه). دون أن يطلب مائدة ولا غيرها!

إن أولئك السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، هم الذين ندعو الله في كل قراءة
لسورة الفاتحة أن يلحقنا بهم. ويهدينا صراطهم: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وذلك مصداقاً لقوله تعالى :
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾
(التوبة : ١٠٠). وقوله : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء / ١١٥] ^(١).

وهكذا.. لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم المدنية إلا وتحدثت عن
جهادهم في سبيل الله عزوجل، فاقراً - مثلاً - قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ *
يُسِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة : ٢٠-٢٢].

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج :
٤٠].

(١) الصحابة بين ميزانين ، للدكتور طه الدليمي ، ٢٨ وما بعدها.

قال الباقر رحمه الله : نزلت في المهاجرين.^(١)

وقوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٨٨ - ٨٩].

وقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد : ١٠].

وقوله جل ثناؤه : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالرِّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران : ١٧٢ - ١٧٤].

وقوله تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال : ١١].

وهذه الآية نزلت في غزوة بدر، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه

(١) تفسير مجمع البيان ، للطبرسي ، ١٥٦/٧ ، التفسير الصافي ، للفيض الكاشاني ، ٣/٣٨١ ، تفسير نور الثقلين ، للحويزي ، ٣/٥٠١ ، تفسير الميزان للطباطبائي ، ١٤/٣٩٥ ، تفسير شبر ، لعبد الله شبر ٣٢٦ ش ، تأويل الآيات ، لشرف الدين الحسيني ، ١/٣٣٨ .

قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما سأله أن يدعه يضرب عنقه، قال : (وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم، فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

وقد جاءت عدة أحاديث تشير إليه وتؤكد عليه. فعن جابر : أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكوا حاطباً فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية^(١).

وعن معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة^(٢).

وعن سعيد بن جبير أنه قال : "ما لم يعرفه البديون؛ فليس من الدين"^(٣). وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإنه قد ثبت بأدلة الكتاب والسنة أن أفضل الأمة أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان والعشرة مفضلون على غيرهم والخلفاء الأربعة

(١) صحيح الترمذي ، حديث : ٣٨٦٤.

(٢) البخاري ، حديث : ٣٩٩٢.

(٣) جامع بيان العلم ، ١٨٠٥ و١٤٢٥.

أفضل الأمة" (١). وقال أيضا: "وذلك أن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة" (٢).

نعود إلى ذكر الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ... [الحديد: ١٠].

والحسنى: الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة (٣). واستدل ابن حزم من هذه الآية بالقطع بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة لقوله عز وجل: وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى (١).

وقد وصف الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصدق والتقوى، ووعدهم بالفلاح في مواطن كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وإذا تركنا كل التأويلات في تفسير الآية، وكذلك الروايات، وفسرنا القرآن بالقرآن، نجد أن الآية تنطبق بوضوح على قوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤٧٦/٢.

(٢) منهاج السنة، لابن تيمية، ١٦٦/٤.

(٣) تفسير ابن جرير، ١٢٨/٢٧.

دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ [الحشر : ٨]. إذن فهؤلاء هم المعنيون بالآية.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : " وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار ، وعلى الذي جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم ، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء^(١) .

وجاء بعد الآية السابقة قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩-١٠﴾ [الحشر : ٩-١٠].

قال القرطبي : قوله تعالى : " ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ " يعني التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة . قال ابن أبي ليلي : الناس على ثلاثة منازل : المهاجرون ، والذين تبوؤوا الدار والإيمان ، والذين جاؤوا من بعدهم . فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل . وقال بعضهم : كن شمسا ، فإن لم تستطع فكن قمرا ، فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا ، فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا ، ومن جهة النور لا تنقطع . ومعنى هذا : كن مهاجريا . فإن قلت : لا أجد ، فكن أنصاريا . فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم ، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر

(١) الفصل ٤/ ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) منهاج السنة ، ابن تيمية ، ١٨/٢ .

لهم كما أمرك الله. وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة؛ فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. وعن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: "للفقراء المهاجرين" الآية. قال لا قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم: "والذين تبوءوا الدار والإيمان" الآية. قال لا قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى: "والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" الآية. وقد قيل: إن محمد بن علي بن الحسين، رضي الله عنهم، روى عن أبيه: أن نفرا من أهل العراق جاؤوا إليه، فسبوا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم عثمان - رضي الله عنه - فأكثروا؛ فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا لا. فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا لا. فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: "والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" قوموا، فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس. هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظا في الفياء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدا منهم أو اعتقد فيه شرا إنه لا حق له في ألفياء؛ روي ذلك عن مالك وغيره. قال

مالك : من كان يبغض أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين؛ ثم قرأ "والذين جاؤوا من بعدهم" الآية^(١).
وقال في قوله : "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" فيه وجهان : أحدهما :
أمرنا أن نستغفروا لمن سبق هذه الأمة من مؤمني أهل الكتاب. قالت عائشة رضي الله
عنها : فأمرنا أن نستغفروا لهم فسبواهم. الثاني : أمرنا أن نستغفروا للسابقين الأولين من
المهاجرين والأنصار. قال ابن عباس : أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله
عليه وآله وسلم، وهو يعلم أنهم سيفتنون. وقالت عائشة : أمرتم بالاستغفار لأصحاب
محمد فسببتموهم، سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (لا تذهب هذه الأمة
حتى يلعن آخرها أولها)...^(٢).

وقال أبو نعيم رحمه الله : (فمن أسوأ حالا ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لها
والمخالفة عليها. ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يعفو عن
أصحابه ويستغفر لهم ويخفف لهم الجناح، قال تعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾... [آل عمران :
١٥٩]. وقال : ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٥]. فمن
سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل

^(١) أنظر تفسير القرطبي، آية "والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان"

^(٢) المصدر السابق.

عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم. لا ييسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته والإسلام والمسلمين^(١).

وقال رحمه الله عن الصحابة: (سمحت نفوسهم رضي الله عنهم بالنفس والمال والولد والأهل والدار، ففارقوا الأوطان، وهاجروا الإخوان، وقتلوا الآباء والإخوان، وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصروا من ناوأهم متوكلين، فأثروا رضاء الله على الغنى، والذل على العز، والغربة على الوطن، هم المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون حقاً، ثم إخوانهم من الأنصار أهل المواساة والإيثار أعز قبائل العرب جاراً، واتخذ الرسول عليه السلام دارهم أمناً وقراراً، الأعفَاء الصبر والأصدقاء الزهر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. فمن انطوت سريرته على محبتهم، ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم، وتبرأ ممن أضمر بغضهم فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعالى فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].. فالصحابة رضي الله عنهم هم الذين تولى الله شرح صدورهم، فأنزل السكينة على قلوبهم، وبشرهم برضوانه ورحمته فقال: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ). [التوبة: ٢١]. جعلهم خير

(١) الإمامة، لأبي نعيم، ٣٧٥، ٣٧٦.

أمة أخرجت للناس، يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله، فجعلهم مثلاً للكتابين - لأهل التوراة والإنجيل - خير الأمم أمته، وخير القرون قرنه، يرفع الله من أقدارهم إذ أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمشاورتهم لما علم من صدقهم وصحة إيمانهم، وخالص مودتهم ووفور عقلهم، ونبالة رأيهم، وكمال نصيحتهم، وتبين أمانتهم رضي الله عنهم أجمعين^(١).

وقال ابن أبي العز رحمة الله: "فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم الا القليل، وفيمن سبُّوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة"^(٢).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمر الله به في هذه الآية!، فإن وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزع من الشيطان

(١) المصدر السابق، ٢٠٩.

(٢) شرح الطحاوية، ٤٧٠.

وحل به نصيب وافر من وانفتح له باب الخذلان يفد به على نار. عصيان الله لعداوة أوليائه وخير أمة نبيه جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه، والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ماطرقة من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بصاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة، والأقاصيص المفتراه، والخرافات الموضوعية، وصر فهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكبر في كل عصر. من خلفه، وعن سنة رسول الله من العصور فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالريح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى مترلة، ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله، وسنة رسوله، وخير أمته، وصالحى عباده، وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين. وأهله بكل حجر ومدر والله من ورائهم محيط^(١).

ويقول الدكتور طه الدليمي: والاستغفار لهم يتناقض مع التنقيح عن أخطائهم، وتتبع زلاتهم. فكيف بالكذب عليهم، واختلاق التهم وإصاقها بهم؟! إن ذلك حرام مع غيرهم. فكيف به معهم وقد أوصى الله بالاستغفار لهم!!! بل أمر بذلك رسوله فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وتحريم حمل الغل

(١) فتح القدير، للشوكاني، ٢٠٢/١.

في القلوب يتناقض مع الحقد عليهم. بل جعل الله ذلك من دلائل الكفر وعلامات الكافرين! فقال: ﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]^(١).

عدنا إلى ذكر فضائلهم من القرآن.

وفيهم يقول عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِّئًا لَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ففي هذه الآية مع غيرها من الدلائل دليل على أن الله يغيظ بالصحابة رضوان الله عليهم من ينتقص من حقهم ومنزلتهم التي أنزلهم الله.

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام، يقولون: والله هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ [الفتح: ٢٩]. ثم قال:

(١) الصحابة بين ميزانين، للدكتور طه الدليمي، ٣٧.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاةً﴾ [الفتح : ٢٩] أي فراخه، فَأَزْرَهُ أَي : شب وطل، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ﴾ [الفتح : ٢٩] أي : فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آزره وأيدوه ونصروه، فهو معهم كالشطاء مع الزراع ليغيظ بهم الكفار^(١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله : (وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور)^(٢).

وقال القرطبي رحمه الله : (قوله تعالى : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي : وعد الله هؤلاء الذين مع محمد وهم المؤمنون الذين أعمالهم صالحة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثواباً لا ينقطع وهو الجنة ، وليست " من " في قوله { منهم } مبعوضة لقوم من الصحابة دون قوم ، ولكنها عامّة مجنسة مثل قوله تعالى : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج : ٣٠]. لا يقصد للتبعيض ؛ لكنه يذهب الى الجنس ، أي فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان ، إذا كان الرجس يقع من أجناس شتى منها الزنا والربا وشرب الخمر والكذب ، فأدخل " من " يفيد بها الجنس وكذا "منهم" أي : من هذا الجنس ، يعني جنس الصحابة^(٣).

قال أبو عروة الزبيري رحمه الله : (كنا عند مالك فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقرأ مالك هذه الآية : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٦/١ ، تفسير ابن كثير ٤/٢٠٤ .

(٢) زاد المسير ٤/٢٠٤ .

أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿٢٩﴾
[الفتح : ٢٩].

قال مالك : من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب محمد عليه السلام فقد أصابته الآية^(١).
ونقل القرطبي هذا الأثر وعزاه للخطيب ثم قال : (لقد أحسن مالك في مقالته
وأصاب في تأويله فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردَّ على الله رب
العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين)^(٢).

ومنها قول الله عز وجل : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ
عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح : ١٨-٢٠]

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يوم الحديبية، ووجه دلالة الآية على تعديلهم أن الله تعالى أخبر برضاه عنهم
وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة، ولا
تصدر تلك التزكية العظيمة من علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية إلا لمن بلغ
الذروة في تحقيق الاستقامة على طاعة الله.

(١) راجع تفسير الآية عند القرطبي.

(٢) رواه الخلال ، وأبو نعيم وذكره ابن الجوزي مختصراً في تفسيره.

وكان عدد الصحابة رضوان الله عليهم يوم بيعة الرضوان ألفاً وأربعمائة. فعن جابر أنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية : أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفاً وأربعمائة^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «أخبرنا الله عزوجل أنه رضي عنهم -عن أصحاب الشجرة- فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أحد أنه سخط عليهم بعد؟»^(٢). فالآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله. وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم، ومن هنا رضي عنهم. (ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام. فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام)^(٣).

ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها)^(٤). ومر قول ابن تيمية رحمه الله : (والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا -ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً- فكل من أخبر الله

(١) تفسير القرطبي.

(٢) صحيح البخاري ٤١٥٥.

(٣) الإرشاد ١٣ ، روضة الواعظين للنيسابوري ٧٥ ، بحار الأنوار للمجلسي ٢٤٣/٣٨ ، ٥١/٤٠ ، تفسير فرات ٤٢١/٢ ، كشف الغمة للإربلي ٨١/١ ، كشف اليقين للحلي ٣٣.

(٤) الصواعق المحرقة ، ٣١٦.

(٥) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجرة.. حديث [٢٤٩٦]. صحيح مسلم ١٩٤٣/٤.

عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له. فلو علم أنه يتعقب ذلك بما سخط الرب لم يكن من أهل ذلك^(١).

وقال ابن حزم رحمه الله : (فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة)^(٢).

ومنها قوله عز وجل فيهم : ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج : ٧٨].

قالوا فيه أقوالاً: أحدها أن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى : وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ [الزمر : ٦٩] وقال : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر : ٥١] وقيل : الأشهاد أربعة : الملائكة والأنبياء وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والجوارح، والثاني أن المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين، ويكون الرسول شهيداً مؤدياً إليكم. والثالث : إنهم يشهدون للأنبياء على أمهم المكذبين لهم بأن قد بلغوا، وجاز ذلك لإعلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهم بذلك وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة : ١٤٣]، أي : شاهداً عليكم بما يكون من

(١) الصارم المسلول ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ . طبعة دار الكتب العلمية . تعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) الفصل في الملل والنحل ٤ / ١٤٨ .

أعمالكم، وقيل : حجة عليكم، وقيل : شهيداً لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به.

وإذا قارنت هذه الروايات بقوله سبحانه عن المهاجرين والأنصار : ﴿وَالسَّابِقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة :
١٠٠] علمت أن الله عز وجل لما وعدهم بالجنات والخلود فيها دل ذلك على أنهم يموتون
على الإيمان والهدى، ولا ينافي هذا وقوع المعاصي منهم فهم غير معصومين، ووعد الله
حقاً لا خلف فيه، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

يقول ابن تيمية رحمه الله : (فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن
التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان)^(١).

ومنها قوله تعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾ [النمل : ٥٩].

فقد أطبق كثيرٌ من السلفِ أن المصطفين هنا في الآية : هم أصحابُ النبي صلى الله عليه
وآله وسلم؛ بل هم أولى الناس يقيناً بهذه الآية بعد الأنبياء.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : " الذين اصطفاهم يقول : الذين اجتباهم لنبية محمد
صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه
دون المشركين به الجاحدين بنبوة نبيهم، ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس في تأويل هذه الآية،

قال : أصحابُ مُحَمَّدٍ اصْطَفَاهُمْ اللهُ لِنَبِيِّهِ"^(١). وذكر عن الوليد بن مسلم أنه قال : قلت لعبد الله بن المبارك : رأيت قول الله ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ () من هؤلاء ؟ فحدثني عن سفيان الثوري ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مَعْرِضِ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : قال طائفة من السَّلَفِ : هم أصحابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا رَيْبَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ . (الْمُصْطَفِينَ من هذه الأمة "^(٢) .

وقال السَّفَّارِينِي رحمه الله : " هم أصحابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم "^(٣) . ومنها قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (التحریم : ٨) . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : (وفي الجملة كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين ومدحهم والثناء عليهم ، فهم - أي الصحابة - أول من دخل في ذلك من هذه الأمة ، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة) "^(٤) .

وقال تعالى يخاطب الصحابة : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

(١) جامع البيان ، لابن جرير الطبري ، ٢٠ .

(٢) ٣ منهاج السنة ، لابن تيمية ، ١٥٦/١ .

(٣) لوامع الأنوار البهية" للسَّفَّارِينِي ، ٣٨٤ .

(٤) منهاج السنة ، لابن تيمية ، ٤٩/٢ .

وَالْعَصِيَّانَ أَوْلَيْكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾ [الحجرات :

[٧٨].

تأمل كيف ختم الله كلامه السابق بوصف نفسه بأنه (عليم حكيم). أي عليم بمن يستحق فضله. ولأنه حكيم فهو لا يضعه إلا في المحل الذي يستحقه. فهذا التحبيب والتزيين للإيمان في قلوبهم، وتكريه ما يضاده من الكفر والفسوق والعصيان لم يكن موضوعاً في تلك القلوب عبثاً بل قد علم أنهم أهل له، وأحق الناس به^(١).

(١) الصحابة بين ميزانين ، للدكتور طه الدليمي ، ٣٦ .

فضائل الصحابة من السنة

وكان من عظمة هذا الجيل المثالي، أن نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يأتي من بعده أن يذكرهم بسوء أو ينتقصهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا ذكر اصحابي فامسكوا ، واذا ذكر النجوم فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا)^(١). ومعنى (اذا ذكر اصحابي فأمسكوا) قال ابو الحسن الأشعري : قال اهل العلم : ومعنى ذلك لا تذكروهم الا بخير الذكر^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " لا تسبوا أحدا من أصحابي فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"^(٣).

قال شيخ الاسلام : (وذلك ان الايمان الذي كان في قلوبهم حين الانفاق في أول الاسلام وقلة أهله ، وكثرة الصوارف عنه ، وضعف الدواعي اليه لا يمكن لأحد أن يحصل له مثله من بعدهم. وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمر ، وعرف المحن والابتلاء الذي يحصل للناس ، وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة. وهذا مما يعرف به أن ابا بكر رضي الله تعالى عنه لن يكون أحد مثله ، فان اليقين والايمان الذي كان في قلبه لا

(١) رواه الطبراني وابو نعيم وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وحسنه الحافظان العراقي وابن حجر وصححه الألباني لشواهد انظر الصحيحة. أنظر أيضاً من طرق الإمامية : نور الثقلين ٤/٤٠٧ ، بحار الأنوار للمجلسي ٢٧٦/٥٥ ، ٢٧٦/٥٨ ، خلاصة عقبات الأنوار لحامد النقوي ٣/١٨٢ ، نفحات الأزهار للميلاني ١٧٠/٣.

(٢) رساله الى أهل الثغر ، ١٧٢.

(٣) رواه البخاري ، ٣٦٧٣ ، ومسلم ٢٥٤١.

يساويه فيه أحد. قال ابو بكر بن عياش : ما سبقهم ابو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بشيء وقر في قلبه . وهكذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبته للرسول ، مؤمنين به مجاهدين معه ، ايمان و يقين لم يشركهم فيهمى من بعدهم^(١) .

وقال العلامة الشوكاني : (فانظر الى هذه المزية العظيمة ، والخصيصة الكبيرة التي لم تبلغ من غيرهم انفاق مثل الجبل الكبير من الذهب نصف المد الذي ينفقه الواحد منهم ، فرضي الله عنهم وارضاهم . فهم أفضل أولياء الله سبحانه وأكرمهم عليه ، وأعلاهم منزلة عنده : وهم الذين عملوا بكتاب الله تعالى وستة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... الحديث)^(٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين)^(٤) .

ومن طرق الإمامية عن الرضا، عن آبائه رحمهم الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من سب نبياً قتل ، ومن سب أصحابي جلد) . وفي رواية عنه أيضاً عن آبائه

(١) منهاج السنة ، ٦ / ٢٢٣ .

(٢) فطر الولي ، ٢٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري ، ٣٦٥١ ، ومسلم ٢٥٣٣ / ٢١٢ .

(٤) أخرجه ابو نعيم ورواه الطبراني عن ابن عباس موصولاً وقال الألباني : (وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي على اقل الدرجات والله اعلم) .

رحمهم الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من سب نبياً قتل، ومن سب صاحب نبي جلد)^(١).

وعن الصادق، عن آبائه، عن علي رضي الله عنه قال : «أوصيكم بأصحاب نبيكم، لا تسبوهم وهم الذين لم يحدثوا بعده ولم يؤووا محدثاً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم». وفي رواية : «الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤووا محدثاً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم»^(٢).

وكان أهل البيت رحمهم الله يوصون بالتمسك بهدي الصحابة رضي الله عنهم اقتداءً بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم الذي حث من سيأتي بعدهم بالتمسك بكتاب الله عز وجل وسنته صلى الله عليه وآله وسلم وهديمهم ي، ويؤكد أن ظهور هذا الدين إنما بمن بقي منهم رضي الله عنهم.

فعن الصادق رحمه الله قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل

(١) صحيفة الرضا (ع) ، مؤسسة الإمام المهدي (ع) ٢٩٩ ، بحار الأنوار للمجلسي ٢٢٢/٧٦ الهامش ، قاموس الرجال للتستري ٥١٢/٩ ، مسند زيد بن علي ٤٦٤ ، ٤٩٥ ، وسائل الشيعة للحر العاملي ٢١٣/٢٨ ، مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي ١٧٢/١٨ ، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٤٩٥/٢٥ ، ٧٣/٢٦ ، حياة الإمام الرضا (ع) لباقر شريف القرشي ٢٤٨/١.

(٢) أمالي الطوسي ٣٣٢ ، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٦/٢٢ ، مستدرك سفينة البحار للشاهرودي ١٧٤/٦ ، من لا يحضره الفقيه للصدوق ١٩١/٤ ، تهذيب الأحكام للطوسي ١٧٧/٩ ، كتاب سليم بن قيس ٤٤٦ ، مقاتل الطالبين للأصفهاني ٢٤ ، تفسير نور الثقلين للحويزي ٧٩/٥.

وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (النجوم أمانة للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (... جعل نسبة أصحابه لمن بعدهم كنسبته إلى أصحابه وكنسبة النجوم إلى السماء ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وإيضاً فإنه جعل بقائهم بين الأمة أمانة لهم وحرزاً من الشر وأسبابه)^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: (يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من

(١) معاني الأخبار للصدوق ٥٠، بحار الأنوار للمجلسي ٢/٢٢٠، ٢٢٠/٢٢، ٣٠٧/٢٢، الاحتجاج للطبرسي ٢/٢٥٩.
 (٢) أحمد ٤/٣٩٩، ومسلم ٢٥٣١. أنظر أيضاً من طرق الإمامية: نوادر الراوندي ٢٣، بحار الأنوار للمجلسي ٣٠٩/٢٢، خلاصة عقبات الأنوار ١/٨٠، ٣/١٦٨، دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف ٧٨، إحقاق الحق للتستري ٢٦٧، نفحات الأزهار للميلاني ١/٨٠، ٣/١٥٧، ١٢/٦٨.
 (٣) اعلام الموقعين، ٤/١٣٧.

راى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون : نعم ، فبفتح لهم^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (استوصوا باصحابي خيرا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...). وفي رواية : (أحسنوا الى اصحابي) ، وفي رواية : (احفظوني في اصحابي) ، وفي : (رواية أكرموا أصحابي) ، وفي اخرى : (أوصيكم بأصحابي)^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأني وصاحبني . والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأني وصاحب من صاحبني ، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأى من رأني وصاحب من صاحب من صاحبني"^(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وان سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته) ولا

(١) البخاري ، ٣٦٤٩ ، ومسلم ، ٢٥٣٢ ..

(٢) رواه احمد والترمذي وقال حسن صحيح من هذا الوجه. ورواه الحاكم وصححه وقره الذهبي وقد صحح الحديث أحمد شاكر رحمه الله وكذا الألباني في الصحيحة.

(٣) رواه ابن ابي عاصم في السنة وابن ابي شيبه وحسن اسناده الحافظ في الفتح وقال الهيثمي : رواه الطبراني من طرق ورجال احدها رجال الصحيح.

شك عند كل ذي عقل سليم وخلق كريم ودين قويم ان الصحابة هم اول من يتصف بالولاية اتصافا اوليا^(١).. ولا شك عند كل ذي عقل سليم وخلق كريم ودين قويم ان الصحابة هم اول من يتصف بالولاية اتصافا اوليا^(٢).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده)^(٤).

وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة)^(٥).

(١) رواه البخاري.

(٢) من سب الصحابة ومعاقبة فأمه هاوية ، للمغراوي ، ٢٨ .

(٣) مكارم الأخلاق للطبرسي ٢١ ، بحار الأنوار للمجلسي ٢٣٦/١٦ ، سنن النبي للطباطبائي ١٢٨ ، موسوعة أحاديث أهل البيت ١٣٨/١ ، الأمل لمكارم الشيرازي ٥٣٧/١٨ .

(٤) مكارم الأخلاق ، للطبرسي ، ١٧ ، بحار الأنوار للمجلسي ٢٣٣/١٦ ، منية المرید للشهيد الثاني ١٩٥ ، الحاشية ، سنن النبي للطباطبائي ١٢٢ ، موسوعة أحاديث أهل البيت ١٣٩/١ ، ميزان الحكمة للريشهري ٥٠/١ ، ٣٢٢٤/٤ ، تفسير الميزان ٣١٤/٦ .

(٥) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١٨٥/١ ، بحار الأنوار للمجلسي ١٢٤/١٩ ، ٢٣٨ ، ٢١٨/٢٠ ، ٣٥٤/٢٢ ، تفسير نور الثقلين للحويزي للحويزي ٢٤٤/٤ ، القمي ١٥٣/٢ ، الخرائج والجرائح للراوندي ١٠٤٨/٣ ، خلاصة عقبات الأنوار ٥٢/٣ ، مستدرک سفينة البحار للشاهرودي ٤٤٧/٥ ، ١٧٩/٦ ، تفسير تفسير الصافي للكاشاني ١٧١/٤ ، ٢١/٦ ، تفسير الميزان ٦/١٥ ، الصحيح من سيرة النبي لجعفر مرتضى ٢١٩/٤ ، ١٠٨/٩ ، ١١٤ ، ١١٧ .

وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم فيهم : (المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)^(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال : (استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمساً وعشرين مرة)^(٢).

بل كان استغفار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه كذلك بعد موتهم : ففي حديث عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة، فحفظ من دعائه وهو يقول : اللهم اغفر له، وارحمه وعافه وأعف عنه وأكرم نذله.. الحديث^(٣).

ولم يقتصر بيانه صلى الله عليه وآله وسلم لفضائلهم في حياته ، بل بين فضلهم في حال وفاته، وذلك باستغفاره لما قد يبدر منهم من ذنوب، فعن الباقر رحمه الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن مقامي بين أظهركم خير لكم، وإن مفارقتي إياكم خير لكم، أما مقامي فلقول الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٣]، أما مفارقتي لأن أعمالكم تعرض علي كل اثنين وخميس، فما كان حسناً حمدت الله تعالى عليه، وما كان سيئاً استغفرت لكم)^(٤).

(١) الأمالي للطوسي ٢٦٨ ، بحار الأنوار للمجلسي ٣١١/٢٢ ، النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ١٤٠ ، جواهر التاريخ لعللي الكوراني ١٦/٢ ، ٩٦ .

(٢) رواه البخاري ٦٢/١ ، ومسلم ٨٥/١ .

(٣) رواه الترمذي ٣٨٥٣ ، وقال حسن صحيح غريب .

(٤) البصائر للصفار ، ٤٦٤ ، تفسير العياشي ٥٤/٢ ، بحار الأنوار للمجلسي ٣٣٨/٢٣ ، أمالي الطوسي ٤٠٨ ، تفسير القمي ٢٧٦/١ ، معاني الأخبار للصدوق ١١٣ ، وسائل الشيعة آل البيت ١١١/١٦ ، وسائل الشيعة الإسلامية ٣٨٩/١١ ، ينابيع المعاجز للبحراني ١٠٦ ، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ٣٠٣/١٣ .

وفي رواية عن الصادق رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، فأما حياتي فإن الله هداكم بي من الضلالة، وأنقذكم من شفا حفرة من النار، وأما مماتي فإن أعمالكم تعرض علي، فما كان من حسن استتردت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم)^(١).

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يدعو لأصحابه بالمغفرة، وهذه منقبة عظيمة لهم. ودعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب لاشك. أفيظن رجل أن يدعو لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة ولا يغفر لهم الله اللهم لا. فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (ما نسينا الغبار عن شعر صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: اللهم إن الخير خير الآخر، فاغفر للأتباع والمهاجرة..). الحديث^(٢).

وعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه، قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكلت معه خبزاً ولحماً، أو قال ثريداً فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال: ولك، قلت: استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نعم، ولك، وتلا: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٥٥٠/٢٢، ٢٩٩/٢٧، ٣٩٨/١٠٨، درر الأخبار لخسروشاهي ١٩٦.

(٢) رواه مسلم ٧٣، ٢٩١٦.

(٣) رواه مسلم ٢٣٤٦، وأحمد ٨٢/٥.

وجعل ثبات المؤمنين على الصراط بسبب شدة حبههم لأصحابه رضي الله عنهم، فعن الباقر، عن آبائه رحمهم الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي)^(١).

وأى شيء أعظم من أن يقيهم صلى الله عليه وآله وسلم بقرّة عينه وهم أهل بيته رضي الله عنهم، حيث قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة»^(٢).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٣٣/٢٧، الغدير للآمبي ٣١٢/٢، شرح إحقاق الحق للمرعشي ٤٢١٧/٢٤، الحاشية ٢٦٣/٢٦ ١١٩/٣٣.

(٢) فحج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، ٩/٣، بحار الأنوار للمجلسي ١١٥/٣٣، سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم للطباطبائي ١٣٩، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة لأويس كريم محمد ١٠٦، ٣٩٨، ميزان الحكمة ل محمد الريشهري ٤/٣٢٣٠، شرح فحج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٧/١٤، حياة أمير المؤمنين (ع) عن لسانه ل محمد محمديان ١١٤/١، معجم المحاسن والمساوي لأبي طالب التحليل التريزي ١٩٥.

موقف آل البيت من الصحابة

ولأهمية هذا الباب ، فإننا سنقتصر على ذكر جل الروايات من طرق الشيعة الإمامية فهو أبلغ بالمقصود ورداً على من زعم أن أئمة آل البيت رضي الله عنهم لهم موقف تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخالف لما عليه سائر المسلمين.

روى الإمامية أن نفرًا من أهل العراق وفدوا على الإمام زين العابدين رحمه الله ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فلما فرغوا من كلامهم ، قال لهم : ألا تخبروني : أنتم المهاجرون الأولون : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر : ٨] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] ؟ قالوا : لا . قال : أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم^(١).

(١) كشف الغمة ، للإربلي ، ٢٩١/٢ ، الفصول المهمة ، لابن الصباغ ، ٨٦٤/٢ ، الصوارم المهرقة ، لنور الله التستري ، ٢٤٩ ، الشيعة في الميزان ، ل محمد جواد مغنية ، ٢٩٣ ، الإمامة وأهل البيت ، ل محمد بيومي مهران ، ٣٩/٣ .

ولم يزل زين العابدين رحمه الله وهو يرى نفسه من الفريق الثالث يدعو الله لهم بالمغفرة ، فيقول في أحد أدعيته :... اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له ، حيث أسمعهم حجة رسالته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، وانتصروا به ، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قرابته ، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم ، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر : ١٠] خير جزائك الذين قصدوا سمتهم ، وتحروا وجهتهم في بصيرتهم ، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام لهم يدينون بدينهم ، ويهتدون بهديهم ، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم^(١) .

ولا عجب في أن ينتهج الإمام السجاد رحمه الله نهج جده أمير المؤمنين رضي الله عنه في بيان فضائل الصحابة لأهل العراق ، فعن الباقر رحمه الله قال : صلى أمير المؤمنين

(١) الصحيفة السجادية الكاملة ، للإمام زين العابدين (عليه السلام) ، ٣٩ ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام) للسدي علي خان المدني الشيرازي ، ٨١/٢ ، الشيعة في الميزان ، لمحمد جواد مغنية ، ٢٩٣ ، رسائل ومقالات ، لجعفر السبحاني ، ٤٧ ، ٤٢٧ ، مجلة تراننا ، لمؤسسة آل البيت ، ٤٨/٤٧

علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالناس الصبح بالعراق ، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى ، ثم قال : أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب المعزى ، يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، يراوون بين أقدامهم وجباههم ، يناجون ربهم ، ويسألونه فكأك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع ذلك وهم جميع مشفقون منه خائفون^(١) .

وعن زين العابدين رحمه الله قال : صلى أمير المؤمنين الفجر ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح ، وأقبل على الناس بوجهه ، فقال : والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، يخالفون بين جباههم وركبهم ، كأن زفير النار في أذانهم ، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يמיד الشجر^(٢) .

وكان رضي الله عنه يقول لمعاوية : أما بعد : فإن الله عبادة آمنوا بالتنزيل ، وعرفوا التأويل ، وفقهوا في الدين ، وبين الله فضلهم في القرآن الكريم ، وأنتم في ذلك الزمان أعداء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فكنتم فيمن دخل هذا الدين إما رغبة وإما

(١) الكافي ، للكليبي ، ٢٣٦/٢ ، وسائل الشيعة ، للحر العاملي ، ٦٥/١ ، الإرشاد ، للمفيد ، ٢٣٧/١ ، الأمالي ، للطوسي ، ١٠٢ ، حلية الأبرار ، لهاشم البحراني ، ١٨٢/٢ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٠٦/٢٢ ، ٣٠٢/٦٤ ، ٣٠٣/٦٦ ، وقال في بيانه : جميع : أي ، مجتمعون على الحق ، لم يتفرقوا كتفرقكم ، جامع أحاديث الشيعة ، للبروجردي ، ٤٠٨/١ .

(٢) الكافي ، للكليبي ، ٢٣٦/٢ ، وسائل الشيعة ، للحر العاملي ، ٦٥/١ ، ٨٧ ، الإرشاد ، للمفيد ، ٢٣٧/١ ، الأمالي ، للطوسي ، ١٠٢ ، حلية الأبرار ، للبحراني ، ١٨٢/٢ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٠٦/٢٢ ، ٣٠٢/٦٤ ، ٣٠٣/٦٦ ، جامع أحاديث الشيعة ، للبروجردي ، ٤٠٨/١ .

رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وفاز المهاجرون والأنصار بفضلهم، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهلُه وأولى به فيجور ويظلم^(١).

ويقول رضي الله عنه: ليس المهاجر كالطليق. وفي رواية: ما للطلاق وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين؟^(٢).

وقال: ألا ترى أن قومًا استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار، ولكل فضل^(٣)

وقال رضي الله عنه مادحاً لهم ومعاتباً أصحابه بعد أن تحاذلوا عنه: أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه. وهيجوا إلى القتال فوهبوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها. وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا وصفا صفا. بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزون عن الموتى. مره العيون من البكاء. خمص البطون من الصيام. ذبل الشفاه من الدعاء. صفر الألوان من

(١) بحار الأنوار، للمجلسي، ٤٢٩/٣٢، ٧٤/٣٣ (الحاشية)، مصباح البلاغة، للميرجهاني، ٢٥/٤، فحج السعادة، للمحمودي، ٢١٨/٤ (الحاشية).

(٢) فحج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ١٧/٣، بحار الأنوار، للمجلسي، ٢٨٤/٢٢، ١٠٥/٣٣، ١٠٦، ١٠٧، مستدرک سفینه البحار، لعلي النمازي الشاهرودي، ٢٢٨/١، ٥٧٣/٦، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لجعفر مرتضى، ٢٣٧/٣، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، ل محمد الريشهري، ١٦٧/٦.

(٣) فحج البلاغة، ٣٢/٣، الاحتجاج، للطبرسي، ٢٥٩/١، بحار الأنوار، للمجلسي، ٥٨/٣٣، ميزان الحكمة، للريشهري، ١٥١٨/٢، ٣٣١٨/٤، فحج السعادة، للمحمودي، ١٩٢/٤، غاية المرام، لهاشم البحراني، ٣٢٨/٥.

السهر. على وجوههم غبرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون. فحق لنا أن نظماً إليهم ونعص الأيدي على فراقهم^(١).

وقال رضي الله عنه ذاماً لشيعته مادحاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
جفأة طغام ، عبيد أفرام ، جمعوا من كل أرب ، وتلقطوا من كل شوب ، ممن ينبغي أن يفقه ويؤدّب ، ويعلم ويدرب ، ويؤلى عليه ، ويؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا من الذين تبوءوا الدار والإيمان^(٢).

وقال رضي الله عنه : لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم ، وصبراً على مضض الألم وجداء في جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر. ، حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه ومتبوءاً أوطانه ، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ، ولا أخضر للإيمان عود ، وأيم الله لتحتلبنها دماً ولتتبعنها ندماً^(٣). وفي رواية : لقد

(١) هج البلاغة ، ٢٣٤/١ ، الاختصاص ، للمفيد ، ١٥٦ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٦٢/٣٣ ، ١١٢/٤٠ ، ٣٠٨/٦٦ ، سنن الإمام علي (عليه السلام) للجنة الحديث معهد باقر العلوم (ع) ، ١٨٦ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، لحمد الريشهري ، ٢٢٩/٦ ، ١٨٨/٧ ، نفس الرحمن في فضائل سلمان ، للنوري الطبرسي ، ١٦٩ .

(٢) هج البلاغة ، ٢٣١/٢ ، الغارات ، للثقفى ، ٣١٢/١ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٢٣/٣٣ .

(٣) هج البلاغة ، ١٠٤/١ ، الغارات ، لإبراهيم الثقفي ، ٣٧٣/٢ (الحاشية) ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٥٤٩/٣٢ ، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لمهدي النجفي ، ١٦٢/٢ .

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات ، فما زداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ، ومضياً على الحق ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مفضض الجراح^(١).

وقال رضي الله عنه : فما سمعت بأحد ولا رأيته هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لنبيه في طاعة ربه ولا أصبر على اللاواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء النفر الذين سميت لك ، وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم^(٢).

ولم يكن رضي الله عنه يفرق بين أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما يفعل من يدعي موالاته والسير على نهجه ، فعن أبي عمرو الكندي قال : كنا ذات يوم عند علي عليه السلام فقالوا : يا أمير المؤمنين ! حدثنا عن أصحابك ! قال : عن أي أصحابي ؟ قالوا : عن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم . قال : كل أصحاب محمد أصحابي^(٣).

وقال فيهم الإمام الصادق رحمه الله : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثني عشر ألفاً.. ثمانية آلاف من المدينة ، وألفان من مكة ، وألفان من الطلقاء ، ولم

(١) هجج البلاغة ، خطب الإمام علي (عليه السلام) ، ٢٣٦/١ ، الاحتجاج ، للطبرسي ، ٢٧٤/١ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٦٩/٣٣ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، لمحمد الريشهري ، ٣٦٤/٦.

(٢) بحار الأنوار ، للمجلسي ، ١١٢/٣٣ ، مصباح البلاغة مستدرک هجج البلاغة ، للميرجهاني ، ٣٢/٤ ، هجج السعادة ، للمحمودي ، ١٨٠/٤ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، للريشهري ، ٢٥/٦.

(٣) الغارات ، للثقفى ، ١٧٧/١ ، نفس الرحمن في فضائل سلمان ، للنوري الطبرسي ، ٢١٠.

ير فيهم قدري ولا مرجيء ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي ، كانوا يبكون الليل والنهار ، ويقولون : اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير^(١).

ومن وصايا الإمام الصادق رحمه الله : لا تدع اليقين بالشك ، والمكشوف بالخفي ، ولا تحكم ما لم تره بما تروى ، قد عظم الله أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك من المؤمنين ، فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد زور وبهتان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥] وما دمت تجد إلى تحسين القول والفعل غيبتك وحضرتك سبيلاً فلا تتخذ غيره ، قال الله : قُولُوا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِلنَّاسِ حُسْنًا [البقرة : ٨٣] واعلم أن الله تعالى اختار لنبيه أصحابه ، طائفة أكرمهم بأجل الكرامة ، وحلاهم بحليه التأييد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه ، وأنطق لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفضائلهم ومناقبهم وكراماتهم ، واعتقد محبتهم وذكر فضلهم وحذر مجالسه أهل البدع فإنها تنبت في القلب كفراً وضلالاً مبيهاً ، وإن اشتبه عليك فضيلة بعضهم فكلهم إلى علام الغيوب ، وقل : اللهم إني محب لمن أحببته ورسولك ، ومبغض لمن أبغضته أنت ورسولك^(٢).

(١) الخصال ، للصدوق ، ٦٤٠ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٠٥/٢٢ ، حقائق الأنس ، ٢٠٠ مستدرک سفینه البحار ، للشاهرودي ، ١٧٣/٦ ، خاتمة المستدرک ، للنوري الطبرسي ، ٢١٢/٢ .

(٢) مصباح الشريعة ، ٦٧ ، خاتمة المستدرک ، للنوري الطبرسي ، ٢٠٩/١ (الهامش) ، تفسير نور الثقلين ، للحويزي ، ٥٨٢/٣ ، ميزان الحكمة ، ٢٣٣٠/٣ .

وما كان للصادق رحمه الله أن يقول هذا لولا علمه بمنزلة الصحبة. كيف لا وهو يعلم أن جده أمير المؤمنين رضي الله عنه كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحق الصحبة حيث قال رضي الله عنه وقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يلقي بعده ، فبكى رضي الله عنه ، وقال : يا رسول الله ، أسألك بحق صحبتي إياك ، لما دعوت الله عز وجل أن يقبضني إليه. فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أتسألني أن أدعو ربي لأجل مؤجل ؟ قال : فعلى ما أقاتلهم ؟ قال : على الاحداث في الدين ^(١).

وعن الباقر رحمه الله قال : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألوه : هل يخاف عليهم النفاق؟ فقال : كلا... ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ، ثم يستغفروا الله فيغفر الله لهم ^(٢).

وعن الإمام الصادق رحمه الله : كان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضع حصاة في فمه ، فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها ، وإن كثيراً من الصحابة كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ، ويتكلمون شبه المرضى ^(٣).

فبهذه الأخلاق صلح أمر هؤلاء الكرام ، كما قال علي رضي الله عنه عن الرسول

(١) الأمالي ، للطوسي ، ٥٠٢ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، ٥٠/٥.

(٢) الكافي ، للكليبي ، ٤٢٤/٢ ، تحف العقول ، لابن شعبة الحراني ، ٣٨ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٤٢/٦ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٥٧/٦٧ ، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لهادي النجفي ، ١٨٢/٩ ، تفسير العياشي ، ١٠٩/١.

(٣) مصباح الشريعة ، ٢٠ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٢٨٤/٦٨ ، ٢٨٤/٧١ ، مستدرک الوسائل ، للنوري الطبرسي ، ٢١/٩ ، جامع السعادات ، للنراقي ، ٢٦٧/٢.

صلى الله عليه وآله وسلم: إن صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالشح والأمل^(١).

وعن الصادق عن آبائه عن علي رضي الله عنه قال: أوصيكم بأصحاب نبيكم، لا تسبوهم وهم الذين لم يحدثوا بعده ولم يؤووا محدثاً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم. وفي رواية: الله الله في أصحاب نبيكم، الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤووا محدثاً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم^(٢).

ولا يسعف من أراد حمل قوله هذا على من لم يحدث بعده، فإن علياً رضي الله عنه وهو راوي الحديث لم ير ذلك في أهل الشام الذين رأوا الخروج عليه، حيث قال فيهم كما يروي الإمامية عن جعفر، عن أبيه: أن علياً عليه السلام كان يقول لأهل حربه: إننا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكننا رأينا أننا على حق، ورأوا أنهم على حق^(٣).

وعن جعفر رحمه الله أيضاً، عن أبيه: أن علياً رضي الله عنه لم يكن ينسب أحداً من

(١) أمالي الصدوق، ١٨٩، بحار الأنوار، للمجلسي، ١٧٣/٦٧، ٣١١، ١٧٣/٧٠، ٣١١، ١٦٤/٧٣، ٣٠٠، الخصال، للصدوق، ٧٩، روضة الواعظين، للنيسابوري، ٤٣٣، وسائل الشيعة، للحر العاملي، ٤٣٨/٢، ١٦/١٦، ٦٥١/٢، ٣١٥/١١، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي، ٤١/١٤، ١٤١.

(٢) أمالي الطوسي، ٣٣٢، بحار الأنوار، للمجلسي، ٣٠٦/٢٢، ٢٤٩/٤٢، ١٠٠/٧٥، من لا يحضره الفقيه، للصدوق، ١٩١/٤، تهذيب الأحكام، للطوسي، ١٧٧/٩، كتاب سليم بن قيس، ٤٤٦، مقاتل الطالبين، للأصفهاني، ٢٤، تحف العقول، لابن شعبة الحراني، ١٩٩.

(٣) قرب الإسناد، للحميري القمي، ٩٣، بحار الأنوار، للمجلسي، ٣٢٤/٣٢، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي، ٩٣/١٣.

أهل حربته إلى الشرك ولا إلى النفاق ، ولكنه كان يقول : هم إخواننا بغوا علينا^(١).

وكان يراهم من أهل القبلة حيث قال رضي الله عنه : وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة^(٢).

وقال رضي الله عنه ولكنّا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام ، على ما دخل فيه من الزبغ والاعوجاج ، والشبهة والتأويل ، فإذا طمعنا في خصلة يلّم الله بها شعثنا ، وتدداني بها إلى البقية فيما بيننا ، رغبتنا فيها ، وأمسكنا عمّا سواها^(٣).

بل كان رضي الله عنه لا يرضى حتى بالسب حيث قال لجيشه في صفين : إني أكره لكم أن تكونوا سبائين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقتلتم مكان سبكم إياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم^(٤).

وعن مروان بن الحكم الذي كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يصليان خلفه كما

(١) قرب الاسناد ، للحميري القمي ، ٩٤ ، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، للمتظري ، ٨٠٦/٢ ، نظام الحكم في الإسلام ، للمتظري ، ٤٠٩ ، وسائل الشيعة ، للحر العاملي ، ٨٣/١٥ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٢٤/٣٢ ، جامع أحاديث الشيعة ، للبروجردي ، ٩٣/١٣ .

(٢) فحج البلاغة ، ٨٦/٢ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٢٤٩/٣٤ ، ميزان الحكمة ، للريشهري ، ٢١٠٩/٣ ، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ ، للريشهري ، ١٨٥/٧ .

(٣) فحج البلاغة ، ٢٣٦/١ ، الاحتجاج ، للطبرسي ، ٢٧٤/١ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٦٩/٣٣ ، ٣٦٤ ، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ، للحر العاملي ، ٤٥ .

(٤) فحج البلاغة ، ١٨٥/٢ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٥٦١/٣٢ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، للريشهري ، ٣١٨/٩ ، موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام) للحاج حسين الشاكري ، ٢٢٣/١٠ .

روي موسى الكاظم موسى قال : حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده جعفر بن محمد ، عن أبيه عليهما السلام : كان الحسن والحسين عليهما السلام يصليان خلف مروان بن الحكم ، فقالوا لأحدهما : ما كان أبوك يصلي إذا رجع إلى البيت ؟ فقال عليه السلام : لا والله ، ما كان يزيدون^(١).

وعن بسام قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصلاة خلف بني أمية ؟ فقال : صل خلفهم فإننا نصلي خلفهم ! قال : قلت : يا أبا جعفر ، إن الناس يقولون : إن هذا منكم تقية ؟ فقال : قد كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان بيتدران الصف ، وإن كان الحسين ليسبه وهو على المنبر أفتقية هذه ؟ وعن علي بن جعفر : روى عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : صلى حسن وحسين عليهما السلام خلف مروان ، ونحن نصلي معهم . وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان ولا يعيدان^(٢).

يقول مروان : لما هزمنا علي بالبصرة ، رد - أي علي رضي الله عنه - على الناس أموالهم ، من أقام بينة أعطاه ، ومن لم يقم بينة أحلفه . قال : فقال له قائل : يا أمير المؤمنين !

(١) النوادر ، لفضل الله الراوندي ، ١٦٣ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ١٢٣/٤٤ ، ٩٢/٨٥ ، مستدرك الوسائل ، للنوري الطبرسي ، ٤٥٦/٦ ، جامع أحاديث الشيعة ، للبروجردي ، ٤١٥/٦ ، درر الأخبار ، لحجازي خسرو شاهی ، ٦٠٤ ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ، للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام) ، ٨١٦ ،

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ، للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام) ، ٨١٧ ، مجلة تراثنا ، لمؤسسة آل البيت ، ١٤٨/١٠ .

أقسم الفئ بيننا والسبي. قال: فلما أكثروا عليه، قال: أيكم يأخذ أم المؤمنين في سهمه؟ فكفوا^(١).

وقال رضي الله عنه وأرضاه: إن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يستزيدونا، الأمر واحدٌ إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم عليه السلام فحلفت لهم بالله، ما قتلت عثمان، ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصوني^(٣).

وكيف لا يكون بريء من دم عثمان وهو كما ذكر المسعودي - وهو من مؤرخي الشيعة - : أنه لما بلغه أنهم يريدون قتله - أي عثمان - بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم... فصدوهم عن الدار، واشتباك القوم، وجرح الحسن، وشبى قبره.. ولما بلغه مقتل عثمان دخل عليّ الدار، وهو

^(١) السرائر، لابن إدريس الحلبي، ١٨/٢، تذكرة الفقهاء، للعلامة الحلبي، ٤٢٥/٩، مختلف الشيعة، للعلامة الحلبي، ٤٥٣/٤، قرب الإسناد، للحميري القمي، ١٣٢، علل الشرائع، للصدوق، ٦٠٣/٢، تهذيب الأحكام، للطوسي، ١٥٥/٦، وسائل الشيعة، للحر العاملي، ٧٨/١٥، بحار الأنوار، للمجلسي، ٤٤١/٣٣، جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي، ١٠٢/١٣.

^(٢) نهج البلاغة، ١١٤، بحار الأنوار، للمجلسي، ٣٠٧/٣٣، المعجم الموضوعي، لنهج البلاغة، لأويس كريم محمد، ٤٠٩، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١٤١/١٧، الانتصار، للعاملي، ١٤٢/٩.

^(٣) الأمالي، للطوسي، ٢٦٩، بحار الأنوار، للمجلسي، ٥٠٥/٣١، حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) عن لسانه، لمحمد محمدديان، ٣٧٧/٣.

كالواله الحزين وقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب صدر الحسين^(١).

بل وقد حضر هو بنفسه مراراً وطرد الناس عنه.^(٢) وانعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلاً بيده ولسانه^(٣) ، بعد أن قال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فدفعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم.

وكان يقول رضي الله عنه : والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون أثماً^(٤).

وكان رضي الله عنه أثناء الحصار يبعث إليه بالماء مع ابنه الحسن رضي الله عنهم أجمعين^(٥).

بل أنه حمل على الخوارج طلباً بدم بن الأرت فكيف بدم عثمان أو إتهامه بدمه رضي الله عنها. فقد روى أنه رضي الله عنه لما انتهى إليهم - أي الخوارج - قال لهم : أقيدونا

^(١) مروج الذهب ، للمسعودي ، ٤٤١/١ ، الغدير ، للأميني ، ٢٣٧/٩ ، رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ ، للطيف القزويني ، ١٠٧.

^(٢) شرح فحج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ٢٥٦/١٠.

^(٣) شرح فحج البلاغة ، لميثم البحراني ، ٣٥٤/٤.

^(٤) فحج البلاغة ، ٢٣٣/٢ ، حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) عن لسانه ، محمد محمديان ، ٣٥١/٣ ، ٣٥٩ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، للريشهري ، ٢٦١/٣ ، ٢٦٤ ، موسوعة شهادة المعصومين (عليه السلام) للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، ٣٢٣/١.

^(٥) دلائل الإمامة ، لابن جرير الطبري (الشيعي) ، ١٦٨ ، مدينة المعاجز ، لهاشم البحراني ، ٢٣٥/٣ ، الدر النظيم ، لابن حاتم العاملي ، ٥٠٣ ، موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، ٥١.

بدم عبد الله بن خباب فقالوا : كلنا قتله فقال : احملوا عليهم^(١).

وعلى ذكر الخوارج ، فإن هذا هم مسلكتهم في علي حيث حملوا روايات المدح فيه على حاله قبل كفره بزعمهم ، فتدبر!!
وعوداً على بدئ.

نعود إلى موضوعنا فنقول : وكان صلى الله عليه وآله وسلم يوصي من سيأتي بعد صحابته بالتمسك بكتاب الله عز وجل وسنته صلى الله عليه وآله وسلم وهديمهم رضي الله عنهم ، ويؤكد أن ظهور هذا الدين إنما بمن بقي منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

فعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل به لا عذر لكم في تركه ، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي ، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به ، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثال النجوم بأيما أخذ اهتدي ، وبأي أفاويل أصحابي أخذتم اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة^(١).

وعن الكاظم عن آبائه رحمهم الله أجمعين : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أمانة لأصحابي ، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمانة لأمتي ، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون ، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها

(١) بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٤٧/٣٣ ، شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ٢٧١/٢ .

ما دام فيكم من قد رأني^(١).

وكذلك كان شأن أئمة آل البيت رضي الله عنهم ، فقد كانوا يحثون غيرهم على العمل بسيرتهم.

فهذا الحسن رضي الله عنه اشترط في صلحه مع معاوية : أن يعمل معاوية بسيرة الشيخين حيث قال في كتاب الصلح :

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان : صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين. وفي رواية الصالحين^(٢).

بل وكان الحسن رضي الله عنه يرى أن معاوية خير له من شيعته.

فعن زيد بن وهب الجهني قال : لما طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجع ، فقلت : ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحIRON؟ فقال : أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا

^(١) معاني الأخبار ، للصدوق ، ٥٠ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٢٢٠/٢ ، ٣٠٧/٢٢ ، الاحتجاج ، للطبرسي ، ٢٥٩/٢ .

^(٢) نواذر الراوندي ، ٢٣ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٣٠٩/٢٢ ، خلاصة عقبات الأنوار ، ٨٠/١ ، ١٦٨/٣ ، دراسات في الحديث والمحدثين ، لهاشم معروف ، ٧٨ ، إحقاق الحق ، للتستري ، ٢٦٧ ، نفحات الأزهار ، للميلاني ، ٨٠/١ ، ١٥٧/٣ ، ٦٨/١٢ .

^(٣) بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٦٥/٤٤ ، صلح الحسن ، لشرف الدين ، ٢٥٩ ، شرح إحقاق الحق ، ٥٣٢/٣٣ ، موسوعة كلمات الحسن ، ١٣٣ ، أعيان الشيعة ، لحسن الأمين ، ٥٧٠/١ ، كشف الغمة ، لابن أبي الفتح الإربلي ، ١٩٣/٢ ، الخصائص الفاطمية ، لمحمد باقر الكجوري ، وغيرها كثير.

مالي^(١).

وعن علي بن أبي حمزة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له أبو بصير : جعلت فداك! أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال : .. كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل^(٢).

وعنه أيضاً عليه السلام قال : إذا طلع الفجر فلا نافلة ، وإذا زالت الشمس يوم الجمعة فلا نافلة ، وذلك أن يوم الجمعة يوم ضيق ، وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتجهزون للجمعة يوم الخميس لضيق الوقت^(٣).

ونكتفي بهذا القدر من الروايات في حثهم على اتباع هدي الصحابة رضي الله عنهم^(٤).

(١) الاحتجاج ، للطبرسي ، ١٠/٢ ، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) لعلي الكوراني ، ١٦٦/٣ ، الخصائص الفاطمية ، محمد باقر الكجوري ، ٥٧٥/٢ ، موسوعة شهادة المعصومين (عليه السلام) للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، ٤١١/١ ، موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) للجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، ١٢٩ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٢٠/٤٤ .

(٢) وسائل الشيعة ، للحر العاملي ، ٢١٥/٦ ، الكافي ، للكليبي ، ٦١٧/٢ ، جامع أحاديث الشيعة ، للبروجردي ، ٥٢/١٥ ، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لهادي النجفي ، ٢٧٣/٤ ، ١١٣/٩ ، التفسير الصافي ، ٧٠/١ ،

(٣) الأمالي ، للطوسي ، ٦٩٦ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ، ٢٢/٨٧ ، كتاب الصلاة ، تقرير بحث المحقق الداماد ، لمؤمن ، ٩٩ (الحاشية) وسائل الشيعة ، للحر العاملي ، ٣٢٩/٧ ، جامع أحاديث الشيعة ، للبروجردي ، ٨٤/٦ ، ١٧٩ .

(٤) راجع تفصيل هذه كله في كتاب هداية المرتاب إلى فضائل الآل والأصحاب ، لفصيل نور .

أقوال علماء المسلمين في الصحابة رضي الله عنهم

وبعد أن أوردناه بعضاً مما جاء في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من القرآن والسنة وأقوال أهل البيت رضي الله عنهم ، إليك طائفة من أقوال علماء المسلمين رحمهم الله في الباب ، الأمر الذي يؤكد الإجماع على هذه المسألة إلا مما لا يعتد بخلافهم .

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب الصحابة خير قلوب العباد فجعلهم الله وزراء نبيه يقاتلون على دينه " (١) .

وقال رضي الله عنه أيضاً : " من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " (٢) .

(١) أخرجه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر : (اسناده صحيح وهو موقوف على ابن مسعود) وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وقال الألباني : (ثم أخرجه - أي الخطيب في الفقيه والمتفقه - من طريق عبد الرحمن بن يزيد : فذكره واسناده صحيح .

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله وفيه انقطاع ، فقد توفي ابن مسعود قبل أن يولد قتادة .

وعلق شيخ الإسلام رحمه الله قائلاً: "وقول عبدالله بن مسعود: كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً؛ كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف"^(١).

عمار بن ياسر رضي الله عنهما: وقد سمع رجلاً نال من عائشة رضي الله عنها فقال: "اغرب مقبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"^(٢).

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلمقام أحدهم ساعة، خير من عبادة أحدكم أربعين سنة" وفي رواية "خير من عمل أحدكم عمره"^(٣).

عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: عن ميمون بن مهران قال: قال لي ابن عباس احفظ عني ثلاثاً: "اياك والنظر في النجوم فانه يدعو الى الكهانة، واياك والقدر فانه يدعو الى الزندقة، واياك وشتم أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكيبك الله في النار على وجهك"^(٤).

(١) منهاج السنة، لابن تيمية، ٧٩/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٧٩/٢، صححه الترمذي في بعض النسخ، وفي بعض النسخ: هذا حديث حسن.

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة ٢١/٧، مختصراً ومسلم في فضائل الصحابة، ١٩٦٧/٤-١٩٩٨، واللفظ له.

(٤) شرح أصول أهل السنة، لإبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري، ٧٠٠/٤.

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أمرنا أن نستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فسبوهم"^(١).

وقيل لها رضي الله عنها أن أناسا يتناولون أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت رضي الله عنها: "وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ان لا يقطع عنهم الأجر"^(٢).

عائذ بن عمرو رضي الله عنه: دخل على عبيد الله بن زياد فقال: "أي بني، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان شر الرعاء الحطمة، فاياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس فانها أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وهل كانت لهم نخالة؟ انها كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم"^(٣).

عبد الرحمن بن أبزي رضي الله عنه: "عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال: (قلت لأبي: ما تقول في رجل سب أبا بكر؟ قال: يُقتل. قلت: ما تقول في رجل سب عمر؟ قال: يُقتل"^(٤).

عمر بن عبدالعزيز (ت: ٩٩ هـ) رحمه الله: "تلك دماء طهر الله يدي منها؛ أفلا أظهر منها لساني؟ مثل أصحاب رسول؟؟؟ العيون، ودواء العيون ترك مسها"^(٥).

(١) صحيح مسلم، حديث ٣٠٢٢.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساکر، ٣٨٧/٤٤، بلاغات النساء، لابن طيفور، ٨، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٢٧٥/١١.

(٣) صحيح مسلم، حديث ٣٤١٧.

(٤) النهي عن سب الأصحاب، لضياء الدين المقدسي، حديث رقم ٢١.

(٥) الطبقات لابن سعد ٣٩٤/٥.

وقال لما سئل عن صفين والجمل : "أمر أخرج الله يدي منه لا ادخل لساني فيه"^(١).

الحسن البصري (ت : ١١٠ هـ) رحمه الله : قيل له : يا أبا سعيد؛ إن هاهنا ناساً يشهدون

على معاوية رضي الله عنه أنه من أهل النار!! قال : "لعنهم الله! وما يدرهم من في النار!"^(٢).

قتادة بن دعامة (ت : ١١٨ هـ) رحمه الله : "أنه قال : "أَحَقُّ مَنْ صَدَّقْتُمْ أَصْحَابَ.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين اختارهم الله لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وإِقَامَةِ دِينِهِ"^(٣).

ابو أيوب السخيتاني (ت : ١٣١ هـ) رحمه الله : "ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد برىء من النفاق ومن ينتقص أحدا منهم أو بغضه لشيء

كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح والخوف عليه ان لا يرفع له عمل الى

السماء حتى يجبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليماً"^(٤).

إبراهيم بن ميسرة (ت : ١٣٢ هـ) رحمه الله : "ما رأيت عمر بن عبدالعزيز ضرب إنساناً

قط إلا إنساناً شتم معاوية فضربه أسواطاً"^(٥).

(١) السنة ، للخلال ، ٧١٧ ، الطبقات ، لابن سعد ، ٣٩٤/٥ .

(٢) الاستيعاب ٤٤٦ ، تاريخ دمشق ، ٢٠٦/٥٩ .

(٣) أخرجه أحمد ، ١٣٤/٤ .

(٤) رياض الجنة بتخريج أصول السنة لأبي زمنين ، ٢٦٨ مطولا ، وأصول الاعتقاد ٧ / ١٣١٦ / ٢٣٣٣ والشريعة

٣ / ١٢٩١ / ٢٣ مختصراً .

(٥) تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، ٢١١/٥٩ .

العَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ (ت : ١٤٨ هـ) رحمه الله : "أَدْرَكْتُ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ : اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابٍ لَتَأْتَلَفَ عَلَيْهَا الْقُلُوبُ، وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَتَجَسَّرَ وَالنَّاسَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ" ^(١).

الامام أبو حنيفة (ت : ١٥٠ هـ) رحمه الله : "ولا نذكر احد من صحابة الرسول الا بخير" ^(٢).

وقال : "ولا نتبرأ من أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نوالي أحداً دون أحد" ^(٣).

وقال : "مقام أحدهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال" ^(٤).

وقال : "نقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أبوبكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين" ^(٥).

وقال : "أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم نكف عن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بذكر جميل" ^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ١٩/١٨ .

(٢) الفقه الأكبر ٣٠٤ .

(٣) الفقه الأبسط ٤٠ .

(٤) مناقب أبي حنيفة للمكي ٧ .

(٥) الوصية مع شرحها ١٤ .

(٦) النور اللامع ق ١١٩ ب- .

وقال : "ويحبهم كل مؤمن تقي ويبغضهم كل منافق شقي" ^(١).

الأوزاعي (ت : ١٥٧ هـ) رحمه الله : "من شتم أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد ارتد عن دينه وأباح دمه" ^(٢).

سفيان الثوري (ت : ١٦١ هـ) رحمه الله : "لا تشتم السلف وادخل الجنة بسلام" ^(٣).

وقال : "لا يستقيم حب علي وعثمان الا في قلوب نبلاء الرجال" ^(٤).

وسئل : "يُصلى خلف من يسب أبا بكر وعمر؟ قال : لا" ^(٥).

سلام بن سليم الحنفي وكنيته أبو الأحوص (ت : ١٧٩ هـ) رحمه الله : قال العجلي :

"كان ثقة صاحب سنة واتباع، وكان إذا ملئت داره من أصحاب الحديث قال لابنه أحوض : "يا بني قم فمن رأيتَه يشتم أحداً من الصحابة فأخرجه ما يجيء بكم إلينا" ^(٦).

الإمام مالك (ت : ١٧٩ هـ) رحمه الله : "هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به ، وجعله رحمة للعالمين ، يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ، ويستغفر كالمودع لهم ،

^(١) الطبقات السننية في تراجم الحنفية ١/١٥٦.

^(٢) الإبانة ، لابن بطة ، ١٦٢.

^(٣) الشرح والإبانة الكبرى لابن بطة ، ٢٥٧.

^(٤) حلية الأولياء ، لإبي نعيم ، ذكر طوائف من جماهير النساك.

^(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لهبة الله الطبري ، رواية ٢٨١٣.

^(٦) سير إعلام النبلاء ، للذهبي ، ٢٨٢/٨.

وبذلك أمره الله ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحبهم ، وموالاتهم ، ومعاداة من عاداهم"^(١).

وقال أيضا : "إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يمكنهم ذلك ، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء ، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحون"^(٢).

وقال : "الذي يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس له سهم - أو قال نصيب - في الإسلام"^(٣).

وقال رحمه الله : "من شتم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قتل ، ومن شتم أصحابه أدب". وقال : من شتم أحداً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال : كانوا على ضلال وكفر قتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشائمة الناس نكل نكالا شديداً"^(٤).

شهاب بن خراش (ت : ١٨٠ هـ) رحمه الله : " أدركت من أدركت صدره هذه الأمة ، وهم يقولون : اذكروا في المجلس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تأتلف عليه القلوب ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا عليهم الناس "^(٥).

(١) الشفا بحقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، ٤١٥ .

(٢) الصارم المسلول ص ٥٨٠ .

(٣) الإبانة ، لابن بطة ، ١٦٢ .

(٤) الشفاء في حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، للقاضي عياض ٢/٢٦٧ .

(٥) سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٢٨٥/٨ .

عبد الله ابن المبارك (ت : ١٨١ هـ) رحمه الله : "دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف"^(١).

وقال هناد السري : "مات عمرو بن ثابت فلما مر بجنازته فرأها ابن المبارك دخل المسجد وأغلق عليه بابه حتى جاوزته"^(٢).

يعقوب بن إبراهيم المعروف بأبي يوسف القاضي (ت : ١٨٢ هـ) رحمه الله : قال ابن حزم رحمه الله : " صدق أبو يوسف القاضي اذ سئل عن شهادة من يسب السلف الصالح ، فقال : لو ثبت عندي على رجل أنه يسب جيرانه ما قبلت شهادته ، فكيف من يسب أفاضل الأمة ، الا ان يكون من الجهل بحيث لم تقم عليه حجة النص بفضلهم والنهي عن سبهم ، فهذا لا يقدح سبهم في دينه اصلا ، ولا ما هو أعظم من سبهم ، لكن حكمه أن يعلم ويعرف ، فان تهادى فهو فاسق ، وان عاند في ذلك الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر مشرك"^(٣).

محمد بن ضبيح بن السماك (ت : ١٨٣ هـ) رحمه الله : " علمت أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى عليه السلام وأن النصراني لا يسبون أصحاب عيسى صلى الله عليه وآله وسلم فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد علمت من أين أتيت ، لم يشغلك ذنبك ، أما لو شغلك ذنبك لحفت ربك ، لقد كان في ذنبك شغل

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه رقم ٣٢.

(٢) مقدمة صحيح مسلم : ١٦/١.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، صفة من يلزم قبوله نقل الأخبار

عن المسيئين فكيف لم يشغلك عن المحسنين ، أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين ولرجوت لهم أرحم الراحمين ، ولكنك من المسيئين ، فمن ثم عبت الشهداء والصالحين ، أيها العائب لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لو نمت ليلك وأفطرت نهارك لكان خيرا لك من قيام ليلك وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب محمد ، فويحك ! لا قيام ليل ولا صوم نهار وأنت تتناول الأختيار ، فأبشر بما ليس فيه البشري إن لم تتب مما تسمع وترى ويحك ! هؤلاء شرفوا في أحد وهؤلاء جاء العفو عن الله تعالى فيهم فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجُمُعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ بَعْضُ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] . فما تقول فيمن عفا الله عنه ؟ وبم تحتج يا جاهل إلا بالجاهلين ، شر الخلف خلف شتم السلف ، والله لو احد من السلف خير من ألف من الخلف ^(١) .

عبدالله بن مصعب (ت : ١٨٤ هـ) رحمه الله : قال لي أمير المؤمنين المهدي يا أبا بكر ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : قلت زنادقة ، قال ما سمعت أحداً قال هذا قبلك ، قال : قلت : هم أرادوا رسول الله بنقص ، فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك ، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء ، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء ، فكأنهم قالوا : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصحبه صحابة السوء وما اقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء فقال : ما أراه إلا كما قلت ^(٢) .

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، للمعافي بن زكريا ، المجلس الحادي والخمسون .

(٢) الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/١٧٤ .

المعافي بن عمران (ت : ١٨٥ هـ) رحمه الله : سئل : أين عمر بن عبدالعزيز من معاوية بن أبي سفيان فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يقاس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد ، أما معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل^(١).

وسُئِلَ : معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال : "كان معاوية رضي الله عنه أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبد العزيز"^(٢).

سفيان بن عيينه (ت : ١٩٨ هـ) رحمه الله : "لا يغلّ قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان قلبه على المسلمين أغل"^(٣).

الإمام الشافعي (ت : ٢٠٤ هـ) رحمه الله للربيع : "أقبل مني ثلاثة أشياء لا تخض في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن خصمك النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، ولا تشتغل بعلم الكلام فإني أطلعت من أهل الكلام على أمر عظيم، ولا تشتغل بالنجوم، فإنه يجير إلى التعطيل"^(٤).

وقال : "أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن والتوراة والانجيل وسبق على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

(١) تاريخ بغداد ٢٠٩/١.

(٢) السنة للخلال ٤٣٥/٢.

(٣) الإبانة ، لابن بطة ، ١٦٢.

(٤) توالي التأسيس ، ٧٣ سير أعلام النبلاء ٢٨/١٠.

الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، فهم أدوا لنا سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاما وخصوصا وعزما وارشادا وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر واستدرك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا"^(١).

محمد بن يوسف الفريابي (ت : ٢١٢ هـ) رحمه الله : - وسئل عن شتم أبا بكر - قال : "كافرٌ، قيل : فيُصَلَّى عليه؟ قال : لا، وسأله : كيف يُصنع به وهو يقول : لا إله إلا الله؟ قال : لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرة"^(٢).

ابو بكر الحميدي شيخ البخاري (ت : ٢١٩ هـ) رحمه الله : "السنة عندنا... والترحم على أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كلهم ، فإن الله - عزوجل - قال (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . [الحشر ١٠] فلم نؤمر إلا باستغفار لهم ، فمن سبهم أو تنقصهم أو أحداً منهم فليس على السنة ، وليس له في الفئ حق ، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال : " قسم الله - تعالى - الفئ فقال : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) - ثم قال - : (والذين جاءوا من

(١) أعلام الموقعين ج ١ ص ٧٩ ، مناقب الشافعي للبيهقي .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ج ٣ ١٠٦١ .

بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا) الآية [الحشر ٨-١٠] فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن جعل له الفعء"^(١).

بشر بن الحارث المشهور بالحافي (ت : ٢٢٧ هـ) رحمه الله : "من شتم أصحاب رسول الله فهو كافر وان صام وصلّى وزعم أنه من المسلمين"^(٢).

عبد الله بن سوار العنبري قاضي البصري (ت : ٢٢٨ هـ) : "السنة عندنا تقديم أبي بكر وعمر وعثمان والحب للصحابة جميعاً، والكف عن مساوئهم، وعظيم الرجاء لهم"^(٣).

يحيى بن معين (ت : ٢٣٣ هـ) رحمه الله : لما سئل عن يونس بن خباب قال : ليس بثقة ، كان يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فليس بثقة". وقال أيضا : "رجل سوء كان يشتم عثمان"^(٤).

إسحاق بن راهويه (ت : ٢٣٨ هـ) رحمه الله : "من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاقب ويحبس، وهذا قول كثير من أصحابنا، منهم : ابن أبي موسى"، قال : "ومن سب السلف من الروافض فليس بكفء ولا يزوج، ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، فقد مرّق من الدين، ولم ينعقد له نكاحٌ على مسلمة؛ إلا أن يتوب ويُظهر توبته، وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز، وعاصم الأحول، وغيرهما من التابعين، قال الحارث بن عتبة : "إن عمر بن عبد العزيز أتى برجل سبَّ عثمان، فقال : ما

(١) مسند الحميدي. باب : الثناء على الصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة / ١٦٢.

(٣) تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ٢٤٨/٥.

(٤) انظر سؤالات ابن الجنيد ٤٠٥ ، ٤٠٦.

حملك على أن سببته؟ قال: أَبْغَضُهُ، قال: وإن أَبْغَضْتَ رجلاً سببته؟! قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطاً". وقال إبراهيم بن ميسرة: "ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط، إلا إنساناً شتم معاوية، فضربه أسواطاً"^(١).

الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) رحمه الله: وقد سأله ابنه عبدالله عن رجل سب رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: أرى أن يضرب، فقلت: له حد. فلم يقف على الحد إلا أنه قال: يضرب وما أراه على الإسلام"^(٢).

وقال رحمه الله: "ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله أو أبغضه لحدث كان منه أو ذكر مساويه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم ويكون قلبه لهم سليماً"^(٣).

وقال وقد سئل عن رجل انتقص معاوية وعمر وبن العاص؟: "إنه لم يجتري عليها إلا خبيثة سوء ما يبغض أحد أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وله داخله سوء"^(٤).

وقال وقد وسأله رجل: يا أبا عبدالله لي خال ذكر أنه ينتقص معاوية وربما أكلت معه فقال أبو عبدالله مبادراً: لا تأكل معه"^(٥).

(١) حكم سب الصحابة، لابن تيمية، ٣٣.

(٢) مسائل الإمام أحمد، ٤٣١.

(٣) مناقب أحمد لابن الجوزي، ٢١٠.

(٤) السنة، للخلال، ٤٤٧/٢، تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٢١٠/٥٩.

(٥) السنة، للخلال، ٤٤٨/٢.

وقال وقد سئل : هل يقاس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد ؟ قال : معاذ الله قيل : فمعاوية أفضل من عمر بن عبدالعزيز ؟ قال أي لعمري ، قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - " خير الناس قرني " ^(١).

وقال رحمه الله وقد سئل : " أَيْكْتَبُ عَنِ الرَّجُلِ إِذَا قَالَ : مُعَاوِيَةَ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَوْ كَافِرًا ؟ قَالَ : لَا ، ثُمَّ قَالَ : لَا يُكْفَرُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ " ^(٢).

وقال رحمه الله : " مَا أَقُولُ فِيهِمْ إِلَّا الْحُسْنَى " ^(٣).

وقال : " إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ بِسُوءِ فَاتِمِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ " ^(٤).

وقال : " مَنْ تَنَقَّصَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَنْطَوِي إِلَّا عَلَى بَلِيَّةٍ ، وَلَهُ خَبِيئَةٌ سُوءٌ ، إِذَا قَصِدَ إِلَى خَيْرِ النَّاسِ وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَسْبُكَ " ^(٥).

وقال أيضا : " مَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَقَ عَنِ الدِّينِ " ^(٦).

(١) السنة ، للخلال ، رواية ٦٦٢ .

(٢) الخلال في السنة ٤٤٧/٢ رقم ٦٩١ .

(٣) مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي ، ١٤٦ .

(٤) البداية والنهاية ١٤٢/٨ ، وأنظر المسائل والرسائل المروية عن أحمد في العقيدة الأحمدي للأحمدي ٣٦٣/٢ ، ٣٦٤ .

(٥) السنة لإبي بكر الخلال ، حديث ٧٥٧ .

(٦) السنة ، للخلال ، ٧٨ .

وقال ايضاً: "ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلهم أجمعين والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو واحداً منهم فهو مبتدع، حبههم سنة والدعاء لهم قرابة، والإقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، لا يجوز لأحد أن ينكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثم يستتبه فإن تاب، قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع"^(١).

وقال عبد الملك الميموني: سمعت ابن حنبل يقول ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية^(٢).

الربيع بن نافع الحلبي (ت: ٢٤١ هـ) رحمه الله: "معاوية ستر لأصحاب محمد صلى الله

عليه وآله وسلم، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه"^(٣).

أبو زرعة الرازي (ت: ٢٦٤ هـ) رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى

الله عليه وآله وسلم عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب

(١) أنظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣٠/١ "والصارم" ٥٦٨.

(٢) السنة، للخلال، ٤٣٢/٢ ورقم ٦٥٤.

(٣) البداية والنهاية ٨/١٣٩، الخطيب البغدادي في تاريخه، ٢٠٩/١.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلبوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة" (١).

المزني (ت : ٢٦٤ هـ) صاحب الامام الشافعي رحمهما الله : "ونخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر الذي أوجب لهم رسول الله ويقال بفضلهم. ويذكرون بمحاسن أفعالهم ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم ، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم ارتضاهم الله عز وجل لنبيه وخلقهم أنصارا لدينه ، فهم ائمة الدين واعلام المسلمين فرحة الله عليهم أجمعين" (٢).

وقال : "هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى ، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضى ، وجانبوا التكلف فيما كفوا ، فشددوا بعون الله ووقفوا ، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا ، ولم يجاوزوه تزيدا فيعتدوا ، فنحن باله واثقون ، وعليه متوكلون واليه في اتباع آثارهم راغبون" (٣).

حرب الكرمانى (ت : ٢٨٠ هـ) تلميذ الإمام أحمد رحمهما الله : "وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم والكف عن ذكر مساوئهم التي شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو واحد منهم ، أو نقصه ، أو طعن عليه ، أو عرض بعيبيهم ، أو عاب احدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف ، لا

(١) رواه الخطيب في الكفاية ص ٩٧ ، ابن عساكر في تاريخه ٣٨/٣٢ ، الصارم المسلول ١/٥٩١ .

(٢) شرح السنة ، للمزني ، ٨٥ .

(٣) المصدر السابق .

يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قرينة والاقتران بهم وسيلة ، والأخذ بلائثارهم فضيلة ، وخير الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ، ووقف قوم على عثمان : وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبيه فان تاب قبل منه ، وان لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت او يرجع"^(١).

السرخسي (ت : ٢٨٦ هـ) رحمه الله : "فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام دواؤه السيف إن لم يتب"^(٢).

أبو جعفر الطحاوي (ت : ٣٢١ هـ) رحمه الله : "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم الا بخير ، وحبهم دين وإيمان واحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"^(٣).

(١) المدخل إلى مذهب احمد بن حنبل ، لعبدالقادر الدمشقي ، ٩٤/١ ، حادي الأرواح ، لابن القيم ، ٢٩٤

(٢) أصول السرخسي ١٣٤/٢ .

(٣) العقيدة الطحاوية ، لإبي جعفر الوراق الطحاوي ، شرح العقيدة الطحاوية" ٦٨٩/٢ .

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧ هـ) رحمه الله : "فأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة فحفظوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغهم عن الله عز وجل وما سن وما شرع وحكم وقضى - وندب وأمر ونهى وأدب ، ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه ، فشر فهم الله عز وجل بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفي عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسأهم عدول الأمة ، فقال عز ذكره في محكم كتابه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ففسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز ذكره قوله : (وسطاً قال : عدلاً ، فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة . وندب الله -عز وجل - إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتراء بهم فقال : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى... ﴾ [النساء آية : ١١٥] . ووجدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حض على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ، ووجدناه يخاطب أصحابه فيها ، منها : أن دعا لهم ، فقال : " نصر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها ،

حتى يبلغها غيره". وقال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته: " فليبلغ الشاهد منكم الغائب"، وقال: " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عني ولا حرج"^(١).

البرهاري (ت: ٣٢٩ هـ) رحمه الله: "واعلم أنه من تناول أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم انما أراد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وقد آذاه في قبره"^(٢).

وقال أيضا: "واذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم انه صاحب قول سوء وهوى"^(٣).

عمر بن الحسين الخرقى (ت: ٣٣٤ هـ) رحمه الله: هاجر من بلده بغداد التي كان يسكنها لما سمع فيها من يسب الصحابة رضي الله عنهم^(٤).

أحمد بن عبد الله بن يونس (ت: ٣٤٧ هـ) رحمه الله: إن محمد بن عبد العزيز التيمي قد باع داره وقال: "لا أقيم بالكوفة، بلد يشتم فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"^(٥).

الآجري (ت: ٣٦٠ هـ) رحمه الله: "فمن سمع فنفعه الله الكريم بالعلم أحبهم أجمعين المهاجرين والانصار وأصهار رسول الله صليالله عليه وسلم، من تزوج اليهم ومن

(١) مقدمة الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٢.

(٢) شرح السنة" ١١٤.

(٣) المصدر السابق، ١١٢.

(٤) والخرقي هو عمر بن الحسين -رحمه الله- وقد أورد عن ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٢٨٨.

(٥) انظر الإبانة الصغرى لابن بطة ص ١٦٤.

زوجهم وجميع أهل بيته الطيبين وجميع أزواجه ، واتقى الله الكريم فيهم ولم يسب واحدا منهم ولم يذكر فيما شجر بينهم ، وإذا سمعوا واحدا يسب أحدا منهم نهاه وزجره ونصحه ، فان أبى هجره ولم يجالسه ، فمن كان على هذا مذهبه رجوت له من الله الكريم كل خير في الدنيا والآخرة"^(١).

وقال : " ومن سبهم فقد سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن سب رسول الله استحق اللعنة من الله عز وجل ومن الملائكة ومن الناس اجمعين ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم"^(٢).

وقال : "لقد خاب وخسر من سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لانه خالف الله ورسوله ولحقته اللعنة من الله عز وجل ومن رسوله ومن الملائكة ومن جميع المؤمنين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، لا فريضة ولا تطوعا ، وهو ذليل في الدنيا ، وضيع القدر ، كثر الله بهم القبور ، واخلى منهم الدور"^(٣).

أبو بكر الإسماعيلي (ت : ٣٧١) رحمه الله : " ويرون تعلم العلم وطلبه من مظانه ، والجد في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره ، وسماع سنن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) كتاب " الأربعين حديثاً " ، حديث : ان الله اختارني واختار اصحابي.

(٢) الشريعة ، ٥٤٣ / ٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٥٥٠ / ٣ .

وجمعها، والتفقه فيها، وطلب آثار الصحابة، والكف عن الوقعة فيهم، وتأول القبيح عليهم، ويكلونهم في جرى بينهم على التأويل إلى الله عز وجل" (١).

ابن شاهين (ت : ٣٨٥ هـ) رحمه الله : "وأن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم السلام ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم أخيار أبرار واني أدين الله بمحبتهم وأبرأمن سبهم أو لعنهم أو ضللهم أو خونهم أو كفرهم" (٢).

ابن ابي زيد القيرواني (ت : ٣٨٦ هـ) رحمه الله : "ولا يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا بأحسن الذكر ، والامساك عما شجر بينهم ، وأنهم أحق الناس أن تلمس لك المخارج ، ويظن بهم أحسن المذاهب ... واتباع السلف الصالح ، واقتفاء آثارهم ، الاستغفار لهم" (٣).

ابن بطة العكبري (ت : ٣٨٧ هـ) رحمه الله : "ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله ، ويستقر علمك وتوقن قلبك أن رجلا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشاهده وآمن به وأتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ، ولو أتى بأعمال اهل الجنة أجمعين ، ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صغيرهم وكبيرهم ، وأولهم وآخرهم ، وذكر محاسنهم ، ونشر

(١) اعتقاد أئمة الحديث ، ٦٠ ، ٥٩ .

(٢) الكتاب اللطيف لشرح مذاهب اهل السنة ، ٢٥١ .

(٣) انظر : رسالة القيرواني مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني ، ٢٣ .

فضائلهم والافتداء بهديهم والافتقاء لآثارهم وأن الحق في كل ما قالوه ، والصواب فيما فعلوه" (١).

أبو نعيم الأصبهاني (ت : ٤٣٠ هـ) رحمه الله : سمحت نفوسهم رضي الله عنهم بالنفس والمال والولد والأهل والدار، وفارقوا الأوطان، وهاجروا الإخوان، وقتلوا الآباء والإخوان، وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصبوا من ناوأهم متوكلين، فأثروا رضاء الله على الغنى، والذل على العز، والغربة على الوطن، هم المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون حقاً، ثم إخوانهم من الأنصار أهل المواساة والإيثار أعز قبائل العرب جاراً، واتخذ الرسول عليه السلام دارهم أمناً وقراراً، الأعفاء الصبر والأصدقاء الزهر. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر : ٩] فمن انطوت سريره على محبتهم، ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم، وتبرأ ممن أضمر بغضهم فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعالى فقال : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠]. فالصحابه رضي الله عنهم هم الذين تولى الله شرح صدورهم، فأنزل السكينة على قلوبهم، وبشرهم برضوانه ورحمته فقال : ﴿يَسِّرْهُمْ رُحْمَهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة : ٢١]. جعلهم خير أمة أخرجت للناس،

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله، فجعلهم مثلاً للكتابين - لأهل التوراة والإنجيل - خير الأمم أمته، وخير القرون قرنه، يرفع الله من أقدارهم إذ أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمشاورتهم لما علم من صدقهم وصحة إيمانهم، وخالص مودتهم ووفور عقلهم، ونبالة رأيهم، وكمال نصيحتهم، وتبين أمانتهم رضي الله عنهم أجمعين^(١).

وقال: "فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته والمسلمين"^(٢).

ابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ) رحمه الله: (أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جالس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو ساعة سمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمرا يعيه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك ولا مثل من نفاه عليه الاسلام باستحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه فمن كان كما وصفنا أولا فهو صاحب، وكلهم عدل امام فاضل رضى، فرض علينا توقييرهم وتعظيمهم، وأن نستغفر لهم ونحبهم، وتمره يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك، وجلسة من الواحد منهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عبادة أحدنا دهره كله، وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرا أو بالغا فقد كان

(١) الإمامة، ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

النعمان بن بشير وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم أجمعين من أبناء العشر فأقل اذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، . وأما الحسن فكان حينئذ ابن ست سنين اذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان محمود بن الربيع ابن خمس سنين اذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعقل محجة مجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه من ماء دارهم ، وكلهم معدودون من خيار الصحابة ، مقبولون فيما رووا عنه عليه السلام أتم القبول وسواء من ذلك الرجال والنساء والعبد والأحرار"^(١).

القاضي أبو يعلى (ت : ٤٥٨ هـ) رحمه الله : "الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة : إن كان مُسْتَحِلًّا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر، سواء كفرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم"^(٢).

عدي من مسافر (ت : ٥٥٧ هـ) رحمه الله : "والكف عن ما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونشر محاسنهم والكف عما جري بينهم وأن الله قد غفر لهم وعلم نبيه أنهم سيقتتلون"^(٣).

أبو سعد ابن السمعي (ت : ٥٦٢ هـ) رحمه الله : "التعرض الى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله بل هو بدعة وضلالة"^(٤).

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم الظاهري ، ٥ / ٨٦ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية ، ٥٦٩ .

(٣) اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ٣٨ ، للشيخ عدي بن مسافر تحقيق حمدي السلفي .

(٤) فتح الباري ٤ : ٢٩٠ كتاب البيوع .

ابن قدامة المقدسي (ت : ٦٢٠ هـ) رحمه الله : "ومن السنة تولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الْحَشْر : ١٠]. وقال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩]. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه... ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء"^(١).

النووي (ت : ٦٧٦ هـ) رحمه الله : "واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات ، سواء من لابس الفتن منهم وغيره ؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب. قال القاضي : وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ، ولا يقتل. وقال بعض المالكية : يقتل"^(٢).

وقال : "وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء"^(٣).

(١) لمعة الاعتقاد ، ٢٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم .

(٣) في شرحه لصحيح مسلم ، حديث ٢٥٤٠ .

شيخ الإسلام ابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ) رحمه الله : "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم، وألسنتهم لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة أو الإجماع من فضائلهم ومراتبهم.. ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين ييغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت يقول أو فعل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم، منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه والصحيح منه : هم فيه معذورون : إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم من كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنهم خير القرون). وأن المد من أحدهم إذا تصدق به، كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم". ثم إذا صدر عن أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه، أو عُفِرَ له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كُفِّرَ به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المخففة، فكيف بالأمر التي كانوا فيها مجتهدين : إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور. ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، ومن الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع، والعمل

الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله به عليهم من الفضائل، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم صفوة الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله" (١).

وقال أيضاً: "وكذلك نؤمنُ بالإمساكِ عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين إما مصيبين فلم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح المغفور لهم خطوهم، وما كان من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسنى فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو بحسنات ما حقة أو مصائب مكفرة أو غير ذلك، فإنهم خير هذه الأمة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم" (٢).

وقال رحمه الله: "وأما الخلفاء والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات ودخول الجنة والنجاة من النار وانتصارهم على الكفار وعلو كلمة الله فإنها هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله" (٣).

(١) العقيدة الواسطية، ١١٩، ١١٥-١٢٢، ١٢٠.

(٢) الوصية الكبرى، ٤١.

(٣) منهاج السنة النبوية: ٣٧٦/٦.

وقال: "من السنة معرفة أفاضل الصحابة، أفضلهم الأربعة الخلفاء الراشدون وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، قال ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة: ومن طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله"^(١).
وسئل عمن لعن معاوية فأجاب: فأجاب: الحمد لله، من لعن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كمعاوية بن أبي سفيان وعمر وبن العاص ونحوهما ومن هو أفضل من هؤلاء: كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة ونحوهما أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان وعلي بن أبي طالب أو أبي بكر الصديق وعمر أو عائشة أم المؤمنين وغير هؤلاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين وتنازع العلماء: هل يعاقب بالقتل؟ أو ما دون القتل"^(٢).

الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) رحمه الله: "سيلنا الكف والاستغفار للصحابة ولا

نحب ما شجر بينهم ونعوذ بالله منه"^(٣).

وقال أيضاً: "معاذ الله أن نشهد على أتباع الزبير أو جند معاوية أو علي بأنهم في النار، بل نفوض أمرهم إلى الله ونستغفر لهم"^(١).

وقال أيضاً: نحمد الله أن أوجدنا في زمان قد أتمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين وعرفنا مأخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصّرنا فغذرنا، واستغفرنا وأحببنا باقتصاد"

(١) الفتاوى، لابن تيمية، ١٥٣/٣.

(٢) مجموع الفتاوى « ٥٨/٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٩/١.

وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا ربنا : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠]. وترضينا عن اعترل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق، وتبرأنا إلى الله من الخوارج المارقين الذين حاربوا علينا وكفروا الفريقين، فالخوارج كلاب النار قد مرقوا من الدين ومع هذا فلا تقطع لهم بخلود النار كما تقطع لعبدة الأصنام" (١).

وقال أيضاً : "ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير ونترضى عنهم، ونقول هم (أي معاوية وأصحابه) طائفة من المؤمنين بغت على الإمام علي وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار (تقتلك الفئة الباغية)، فنسأل الله أن يرضى عن الجميع وأن لا يجعلنا ممن في قلبه غل للمؤمنين ولا نرتاب أن علينا أفضل من حاربه وأنه أولى بالحق رضي الله عنه" (٢).

وقال أيضاً : "ما نقرّر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنه أجمعين وما زال يمر بنا في الدواوين والكتب والأجراء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه، وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضى عنهم وكتمان ذلك متعين على العامة وآحاد

(١) المصدر السابق ٣٩/١.

(٢) المصدر السابق ١٢٨/٣.

(٣) المصدر السابق ٢١٠/٨.

العلماء، وقد يُرَخِّصُ في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العربي عن الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى.. "إلى أن يقول: "فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم وجهاد محمّاء، وعبادة محصّة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، ونقطع بأن بعضهم أفضل من بعض.. فأما ما تنقله الراضية وأهل البدع في كتبهم من ذلك فلا تعرّج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء ودأب الروافض رواية الأباطيل أو ردّ ما في الصحاح والمسانيد ومتى إفاقة من ربه سكران" (١).

وقال رحمه الله: "وما زال يمر بنا في الدواوين والكتب والأجزاء - يعني من الأخبار التي تحكي ما شجر بين الصحابة - ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه؛ لتصفو القلوب وتتوافر على حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العربي من الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى، حيث يقول: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم وجهاد محمّاء وعبادة محصّة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ولا ندعي فيهم العصمة ونقطع بأن بعضهم أفضل من بعض.. الخ" (٢).

(١) المصدر السابق ٩٤/١٠، ٩٣، ٩٢.

(٢) المصدر السابق ٩٤/١٠، ٩٣.

ابن القيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) رحمه الله : "أفضل الناس في الرأي : والمقصود أن أحدا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم ، وكيف يساويهم ؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته^(١) .

تاج الدين السبكي (ت : ٧٧١ هـ) رحمه الله : "ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض ، إلا إذا برهان واضح ، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك وإلا فأضرب صفحا عما جرى بينهم ، فإنك لم تخلق لهذا ، فاشتغل بما يعينك ودع ما لا يعينك ولا يزال طالب العلم نبیلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ، ويقضى لبعضهم على بعض"^(٢) .

سعد الدين التفتازاني (ت : ٧٩٢ هـ) رحمه الله : "ويجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم ، وحمل ما يوجب بظاهرة الطعن فيهم على محامل وتأويلات سيما المهاجرين والأنصار ، وأهل بيعة الرضوان ، ومن شهد بداراً وأحدأً والحديبية ، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع ، وشهدت بذلك الآيات والأخبار الصحاح ، وتفصيلها في كتب الحديث والسير والمناقب وكف اللسان عن الطعن فيهم"^(٣) .

الحافظ ابن حجر (ت : ٨٥٢ هـ) رحمه الله : "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب وما وقع لهم من ذلك ولو عُرف المحق منهم ؛ لأنهم لم

(١) إعلام الموقعين ، ج ١ باب : الصحابة أفضل الناس في الرأي .

(٢) طبقات الشافعية في ترجمة الحارث المحاسبي ٣٩/٢ .

(٣) شرح المقاصد ٣٠٣/٥ .

يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين^(١).

وقال: "الذي ذهب اليه الجمهور أن فضيلة الصحابة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصر أو ضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة (إلا للذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم"^(٢).

ابن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٣ هـ) رحمه الله: "عد ما ذكر كبيرتين هو ما صرح به غير واحد وهو ظاهر وقد صرح الشيخان وغيرهما أن سب الصحابة كبيرة، قال الجلال البلقيني: وهو داخل تحت مفارقة الجماعة وهو الابتداع المدلول عليه بترك السنة، فمن سب الصحابة رضي الله عنهم أتى كبيرة بلا نزاع، انتهى. ويؤيد ذلك أيضاً صريح هذه الأحاديث وغيرها كحديث: {إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصحاباً فمن شتمهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً}. وحديث: {إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي إخواناً وأصحاباً وأصهاراً، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم ويغضونهم فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا معهم ولا تصلوا خلفهم}. وكحديث: {إذا ذكر أصحابي فأمسكوا}. ونقل بعضهم عن أكثر العلماء أن من سب أبا بكر وعمر كان كافراً،

(١) فتح الباري ٣/٣٧.

(٢) المصدر السابق، ٧/٧.

وأَنهم استندوا في ذلك لما روي أَنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : { من سبك يا أبا بكر فقد كفر } . وفي الحديث : { من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما } ، فمن قال ذلك لأبي بكر وذريته فهو كافر هنا قطعاً ، وأيضاً فقد نص الله تعالى على أَنه رضي الله عن الصحابة في غير آية ، قال تعالى : { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه } فمن سبهم أو واحداً منهم فقد بارز الله بالمحاربة ، ومن بارز الله بالمحاربة أهلكه وخذله ، ومن ثم قال العلماء : إذا ذكر الصحابة بسوء كإضافة عيب إليهم وجب الإمساك عن الخوض في ذلك ، بل ويجب إنكاره باليد ثم اللسان ثم القلب على حسب الاستطاعة كسائر المنكرات ، بل هذا من أشرها وأقبحها ، ومن ثم أكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التحذير من ذلك بقوله : " الله الله " : أي احذروا الله أي عقابه وعذابه على حد قوله : { ويحذركم الله نفسه } وكما تقول لمن تراه مشرفاً على الوقوع في نار عظيمة النار النار : أي احذرها . وتأمل أعظم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها صلى الله عليه وآله وسلم حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضاً له وناهيك بذلك جلاله لهم وشرفاً ، فحبهم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه ، ومن ثم كان حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق لسابقتهم وبذلهم الأنفس والأموال في محبته صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر سيرهم معه صلى الله عليه وآله وسلم وآثارهم الحميدة في الإسلام في حياته وبعد مماته ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأكملهم وأفضلهم ، فقد جاهدوا في الله حق جهاده حتى نشروا الدين وأظهروا شرائع الإسلام ، ولولا ذلك منهم ما وصل إلينا قرآن ولا سنة ولا

أصل ولا فرع، فمن طعن فيهم فقد كاد أن يمرق من الملة لأن الطعن فيهم يؤدي إلى انطماش نورها: {ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} وإلى عدم الطمأنينة والإذعان لثناء الله ورسوله عليهم، وإلى الطعن في الله وفي رسوله إذ هم الوسائط بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والإضرار بالناقل إضرار بالمنقول عنه، وهذا ظاهر لمن تدبره وقد سلمت عقيدته من النفاق والغلول والزندقة. فالواجب على من أحب الله ورسوله حب من قام بما أمر الله ورسوله به وأوضحه وبلغه لمن بعده وأداء جميع حقوقه والصحابة هم القائمون بأعباء ذلك كله^(١).

المنائي (ت: ١٠٣١ هـ) رحمه الله: " (من سب اصحابي) أي شتمهم (فعليه لعنة الله والملائكة والناس) أي الطرد والبعد عن مواطن الأبرار ومنازل الأخيار ، والسب والدعاء من الخلق (اجمعين) تأكيد لمن سب ، او الناس فقط أي : كلهم. وهذا شامل لمن لا بس القتل منهم لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسيهم كبيرة ونسبتهم الى الضلال او الكفر كفر"^(٢).

الصنعاني (ت: ١١٨٢ هـ) رحمه الله: "وأما الصحابة رضي الله عنهم فلهم شأن جليل وشأو نبيل ومقام رفيع وحجاب منيع فارقوا في دين الله أهلهم وأوطانهم وعشائرتهم واخوانهم وأنصارهم وأعوانهم وهم الذين أثنى الله جل جلاله عليهم في كتابه وأودع

(١) الزواجر عن إقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي ، الكبيرة ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(٢) فيض القدير ، ١٤٦/٦ .

ثنائهم شريف كلامه وخطابه وفيهم المادح النبوية والأخبار الرسولية بأنه لا يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهباً^(١).

محمد بن احمد السفاريني (ت : ١١٨٨ هـ) رحمه الله : "ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به في الاجتماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم، ولهذا قال علماءنا كغيرهم من أهل السنة ومنهم ابن حمدان في "نهاية المبتدئين" : يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة وإقراءً وسماعاً وتسميماً، ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفراً ولا فسقاً بل ربما يثابون عليه؛ لأنه اجتهاد سائغ"^(٢).

وقال : "والذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة ، بإثبات العدالة لهم ، والكف عن الطعن فيهم ، والثناء عليهم ، فقد أثنى الله سبحانه عليهم في عدة آيات من كتابه العزيز ، على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، ونصرة الدين ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع بتعديلهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم ، هذا مذهب

(١) ثمرات النظر في علم الأثر ، موضوع : جلالة الصحابة.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، للسفاريني ، ٣٨٦/٢.

كافة الأمة ، ومن عليه المعول من الأئمة ، وأما من شذ من أهل الزيغ والابتداع ، ممن ضل وأضل فلا التفات إليهم ولا معول عليهم^(١).

وقال : "ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق، واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقق بتحقيقهم... فلا معروف إلا ما عنهم عرف، ولا برهان إلا بعلومهم كشف، ولا سبيل نجاة إلا ماسلكوا، ولا خير سعادة إلا ما حققوه. (وحكوه، فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين)"^(٢).

محمد بن عبد الوهاب (ت : ١٢٠٦ هـ) رحمه الله : فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم، والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم، فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم وارتدادهم ، أو ارتداد معظمهم عن الدين أو اعتقد حقية سبهم وإباحته او سبهم مع اعتقاد حقية سبهم او حليته فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضلهم وكمالهم المستلزمة لبراءتهم عما يوجب الفسق والارتداد وحقية السب أو إباحته، ومن كذبهما فيما ثبت قطعاً صدوره عنها فقد كفر، ومن خص بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكذبه كافر، وإن سب من غير

(١) المصدر السابق ، ٦١/٢ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ، للسفاري ، ٣٨٠/٣ .

اعتقاد حقيقة سبه أو إباحته فقد تفسق لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم بعضهم فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقاً والله أعلم، وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكماله فالظواهر أن سابه فاسق، إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك كفر، وغالب هؤلاء الذين يسبون الصحابة لا سيما الخلفاء يعتقدون حقيقة سبهم أو إباحته، بل وجوبه لأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى بما يوجب لهم خسران الدين والله الحافظ^(١).

الشوكاني (ت: ١٢٥٥ هـ) رحمه الله: "اعلم ان الصحابة لا سيما أكابرهم الجامعين بين الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والعلم بما جاء به وأسعدهم الله سبحانه وتعالى بمشاهدة النبوة وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السراء والضراء، وبذلهم انفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى حتى صاروا خير القرون بالأحاديث الصحيحة. فهم خيرة الخيرة، لأن هذه الأمة هي كما اكرمهم الله به بقوله: (كنت خير أمة أخرجت للناس)، وكانا الشهداء على العباد كما في القرآن العظيم فهم خير العباد جميعاً، وخير الأمم سابقهم ولأحقهم، واولهم وآخرهم وهؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم خير قرونها، وأفضل طوائفهم الى يوم القيامة. فتقرر بهذا ان الصحابة رضي الله عنهم خير العالم بأسره من أوله لآخره، لا يفضلهم أحد الا

(٢) رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب تحقيق د. ناصر سعد الراشد ص(١٨، ١٩) دار طيبة.

الأنبياء والملائكة ، ولهذا لم يعدل مثل أحد ذهباً مد أحدهم ، ولا نصيفه . فإذا لم يكونوا راس الأولياء ، وصفوة الأتقياء ، فليس لله أولياء ولا أتقياء ولا بررة ولا أصفياء"^(١) .

ابن عثيمين (ت : ١٤٢١ هـ) رحمه الله : "كما أن من سبَّ الصَّحابة - رضي الله عنهم - فوق كونه تنقصاً لهم ، فهو يتضمن سبَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان أصحابه محلاً للنقص والعيب ، وسبَّ الشريعة ؛ لأنها ما جاءت إلا عن طريقهم ، وسبَّ الله ؛ حيث اختار لِنبيه "صلى الله عليه وآله وسلم" مثل هؤلاء الصَّحابة"^(٢) .

ولا يمكننا حصر كل ما جاء عنهم رحمهم الله في وجوب محبة وإحترام الصحابة رضي الله عنهم ، والنهي عن سبهم أو الكلام فيما شجر بينهم ، فإن ذلك سيخرجنا عن خطة الكتاب في الإختصار ، وفيما أوردناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وقد تعمدنا ذكر تواريخ وفياتهم لنبين أن هذا الاعتقاد ثابت عند كافة علماء المسلمين عبر الزمن .

(١) كتاب الإحسان للأستاذ عبد السلام ياسين ج ١ - ، ١٠٧ ، ٠٧ . نقلاً عن كتاب "ولاية الله" ، ص ٢٧٦ .

(٢) أنظر : شرح العقيدة الواسطية ١٨٣/٢ .

الكلام فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم

من سمات أهل السنة والجماعة وعلامات أهل الأثر والاتباع سلامة قلوبهم وألسنتهم للصحابة الأخيار وحمة الشريعة الأتقياء الأبرار والذب عن حرمتهم وأعراضهم من رموز الجراحين وثلب العابثين وألسنة الحاقدين ، والزجر والتغليظ على من تعلق بخيوط الأوهام وبات في أودية الظلام فغمس لسانه في البهت والآثام وسلب من الصحابة العدالة وجعلهم كسائر الأنام لهم ما لهم وعليهم ما عليهم فولغ في حرمتهم وأعراضهم وجمع مساويهم وعثراتهم.

وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله على من جمع الأخبار التي فيها طعن على بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغضب لذلك غضباً شديداً وقال : (لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته ، فكيف في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : أنا لم أكتب هذه الأحاديث ، قال المروزي : قلت لأبي عبدالله : فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر؟ قال : نعم يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم . رواه الخلال في السنة (٣ / ٥٠١) بسند صحيح.^(١)

(١) الاستنفاة للذب عن الصحابة الأخيار ، لسليمان العلوان .

وَجُوبُ السُّكُوتِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أجمع أهل السنة قاطبة على الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم والسكوت عما حصل بينهم من قتال وحروب، وعدم البحث والتنقيب عن أخبارهم أو نشرها بين العامة لما لها من أثر سيئ في إثارة الفتنة والضغائن وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم، مما يقلل الثقة بهم .

والواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم .

وَكُتِبَ أَهْلَ السَّنَةِ مَمْلُوءَةً بِبَيَانِ عَقِيدَتِهِمُ الصَّافِيَةِ فِي حَقِّ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَقَدْ حَدَّدُوا مَوْقِفَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ فِي أَقْوَامِهِمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي مِنْهَا : سَأَلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقِتَالِ الَّذِي حَصَلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَالَ : (تِلْكَ دِمَاءُ طَهَّرَ اللَّهُ يَدِي مِنْهَا؛ أَفَلَا أُطَهِّرُ مِنْهَا لِسَانِي؟ مَثَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْعَيُونِ؛ وَدَوَاءُ الْعَيُونِ تَرْكُ مَسْهَا) ^(١) .

(١) انظر : عبد المجيد النجار ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، ص ٧٥ وما بعدها .

وسئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال : (قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغبنا، وعلّموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا)^(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى بعد أن قيل له : ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال : (ما أقول فيهم إلاّ الحسنى)^(٢).

وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد بيان ما يجب أن يعتقد المسلم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ينبغي أن يُذكروا به فقال : (وأن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول إلاّ بأحسن ذكر، والإمسك عمّا شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتبس لهم أحسن المخارج، ويُظن بهم أحسن المذاهب)^(٣).

وقال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة : (ومن بعد ذلك نكفّ عمّا شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل؛ فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم أنهم سيقْتَلون؛ وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ العمدة قد وُضِعَ عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم)^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣٣٢/١٦.

(٢) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ١٤٦.

(٣) رسالة القيرواني مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني، ٢٣.

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ٢٦٨.

وقال أبو عثمان الصابوني في صدد عقيدة السلف وأصحاب الحديث : (ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالة لكافتهم)^(١).

وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله : (لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأراد الله عز وجل. وهم كلهم لنا أئمة، وقد تُعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألاً نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة، ولنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن سبهم^(٢)، وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضى عنهم)^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم : (ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون : إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون)^(٤).

وكذلك ما ذكره شيخنا ابن عثيمين حفظه الله حيث قال : (وهذا الذي حصل أي بين

الصحابة موقفنا نحن منه له جهتان :

الجهة الأولى : الحكم على الفاعل، والجهة الثانية : موقفنا من الفاعل .

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، ١/١٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٢ ، ومسلم ٤/١٩٦٧ ، وأحمد ، ٣/١١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٦/٣٢١ .

(٤) العقيدة الواسطية مع شرحها ، لمحمد هراس ، ١٧٣ .

أما الحكم على الفاعل فقد سبق، وأن ما ندين الله به أن ما جرى بينهم فهو صادر عن اجتهاد، والاجتهاد إذا وقع فيه الخطأ فصاحبه معذور مغفور له .

وأما موقفنا من الفاعل فالواجب علينا الإمساك عما شجر بينهم. ولماذا نتخذ من فعل هؤلاء مجالاً للسب والشتم والوقية فيهم والبغضاء بيننا؟ ونحن في فعلنا هذا إما آثمون، وإما سالمون ولسنا غانمين أبداً^(١).

فهذه طائفة من كلام أكابر علماء الإسلام من سلف هذه الأمة والمعاصرين؛ تبين منها الموقف الواجب على المسلم أن يقفه من الآثار المشتملة على النيل من أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بسبب ما وقع بينهم من شجار، وخلاف، ومقاتلة؛ خاصة في حرب الجمل وصفين، وهو صيانة القلم واللسان عن ذكر ما لا يليق بهم، وإحسان الظن بهم، والترضي عنهم أجمعين، ومعرفة حقهم ومنزلتهم، والتماس أحسن المخارج لما ثبت صدوره من بعضهم، واعتقاد بعضهم أنهم مجتهدون؛ والمجتهد مغفور له خطؤه إن أخطأ، وأن الأخبار المروية في ذلك منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص منه حتى تحرف عن أصله وتشوه. كما تبين من هذه النقول المتقدم ذكرها أن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة فيما شجر بينهم هو الإمساك^(٢).

(١) شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ ابن عثيمين ٦١٧ ضمن مجموع الفتاوى ٦١٧/٨ .

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، للدكتور الشيخ ناصر بن علي الشيخ ٧٤٠/٢ بتصرف.

فإذا تبين لنا أن الإجماع قد وقع من علماء المسلمين على السكوت عما شجر بين الصحابة، وعدم التنقيب أو التتقير عما حصل بينهم من حروب وقاتال؛ ولو حسنت نية المتكلم أو السامع، كان من المناسب أن نعرف معنى السكوت نحوهم .

معنى السكوت :

أما معنى السكوت عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم : فهو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفاصيل ونشرها بين العامة بطريق أو آخر^(١) وقد أشار إلى ذلك الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قاتلاً : (إن كثيراً مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغي طيّه وإخفاؤه بل إعدامه، وإن كتمان ذلك متعين على العامة بل آحاد العلماء)^(٢).

وأما الآثار السلبية في نشر أحاديث الفتنة وأخبار النزاع بين الصحابة رضي الله عنهم فهي :

أنها أوقفت المسلمين على ما لا ينبغي لهم أن يقفوا عليه .

أن في بثها والحديث عنها عند عامة الناس مخالفة لما عليه السلف الصالح .

أنها تفسد على المسلمين سلامة صدورهم، وصفاء قلوبهم على الصحابة رضي الله عنهم ، ولا يخالف في ذلك إلا مكابر أو جاهل .

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، للدكتور : ناصر الشيخ ٧٤٠/٢ بتصرف.

(٢) سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، رحمه الله تعالى ٩٢/١٠ .

أنها تثير بين الناس الشبهات، وتضاعف لديهم الأوهام حول الصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ وتزعزع منه الثقة بالصحابة عند كثير من الناس .

أن في نشرها بهذه الطريقة خلافاً للحكمة الدعوية، والطرق التعليمية، كما قال علي رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟)^(١).

الإيرادات :

قبل الانتهاء والخروج مما أردت بيانه، أرى من الواجب أن أجيّب عن بعض الأسئلة التي هي في حكم الإيرادات والشبهات حول هذا الموضوع .

الإيراد الأول :

لعل قائلاً يقول : قد سلمنا لكم بما ذكرتموه وقرّتموه آنفاً، لكنّ هذا محمول على من أراد ذكر ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم على وجه التنقيص والبغض، وسوء الظن بهم ونحوه مما هو مثار للفتنة عياداً بالله .

أما من أراد ذكر ذلك على وجه المحبة للجميع، مع سلامة الصدر والترحم عليهم وحسن الظن بهم؛ فهذا ليس محل نزاعنا !!

أقول : نحن لا نسلّم لك ما قلته لعدة مخالقات شرعية؛ منها :

١- أن هذا القول خلاف الأصل المقرر عند عامة السلف والخلف، وهو السكوت عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، سواء كان الحديث عنهم عن حسن ظنٍ أو سوء ظنٍ

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ١٢٤.

لما في ذلك من درء للمفسدة الحاصلة وسدّ للذريعة المفضية للشبه والفتنة كما هو معلوم من الواقع بالضرورة .

فهذا العوام بن حوشب يقرر هذا الأصل : (أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتأتلف عليها القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرّشوا الناس عليهم)^(١) ، وبلطف آخر قال : (.. فتحجّسروا الناس عليهم)^(٢).

وكذلك هو أيضاً خلافاً للأصل المحقق وهو الوقوع في الفتنة؛ ولهذا لا يجوز لك أن تخالف أصلاً محققاً رجاء سلامة صدرٍ مظنونة !

فقد قال رسول الله : (الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعه؛ ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي : القلب)^(٣).

وعن الحسن بن علي قال : حفظت من رسول الله : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)^(٤).

(١) كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لابن بطة ١٦٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي رحمه الله ٣٣/١٨ .

(٣) رواه البخاري ٥٢ ، ٢٠٥١ ، ومسلم ١٥٩٩ وغيرهما ، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٤) رواه النسائي ٣٢٧/٨ ، والترمذي ٢٥١٨ ، وأحمد ٢٠٠/١ وغيرهم .

أيضاً في ذكر ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم مع ادعاء أمن الفتنة وسلامة الصدر؛ أمنٌ من مكر الله تعالى، عياداً بالله فقد قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٩].

وكذلك فيه تعرّض للفتن التي طالما استعاذ منها النبي؛ فعن المقداد بن الأسود قال :
 وأيم الله ! لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إن السعيد لمن جُنّب
 الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواها)^(١).
 لو سلمنا أن أحداً خاض فيها شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ؛ ثم خرج من ذلك
 بسلامة صدر وصفاء قلب؛ لكان هذا تحصيل حاصل ونوع عبث، ومخالفة لمنهج السلف
 الصالح تجاه هذه الفتنة، بل هو في الحقيقة ضرب من الخيال، وخلاف الواقع المألوف .
 ثم إذا كان الأمر كذلك كما ذكر المعترض فهذا يكون لآحاد العلماء خاصة لا عامة
 الناس كما ذكره الإمام الذهبي رحمه الله ؛ فليت شعري هل هذا هو محل نزاعنا، أو هو فيما
 انتشر بين أيدي الناس كافة عالمهم وعاميهم وصغيرهم وكبيرهم ؟ والله المستعان !
 الإيراد الثاني :

ولعل قارئاً يقول : إننا نجد كثيراً من كتب التاريخ المشهورة المرضية عند عامة
 المسلمين قد ذكرت ما جرى وحصل بين الصحابة رضي الله عنهم بكل تفصيل وتحليل؛
 فلنا فيهم أسوةٌ حسنة، فيسعدنا ما يسعهم !!

(١) رواه أبو داود ٤/٤٢٦٣.

أقول : إن هذا القول حق لا شك فيه؛ فقد ذكرت كتب التاريخ بعامة ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم بيد أنها لم تذكر ذلك للاستئناس، والتشوّف لأخبارهم والتفكّه بحروبهم وقتالهم، ونحو ذلك؛ فحاشاهم رحمهم الله تعالى فهم أبعد الناس عن ذلك .

ولا ننس أيضاً أنه كما ثبت في كتبهم ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم؛ فكذلك قد ثبت تقريرهم لمعتقد السلف عن الكف والإمساك عما شجر بينهم؛ وهذا لم يكن منهم تناقضاً كما يزعمه من ليس له أدنى علم بحالهم؛ فهؤلاء الأئمة قد ذكروا ذلك وسطّروه في كتبهم لأمر مهمّة منها :

إبراء للذمة؛ فكان من الأمانة العلمية أن يذكروا ذلك حفظاً للتاريخ الإسلامي من عادية المحرفين أهل البدع والأهواء؛ كي لا يُدخَلَ فيه ما ليس منه، أو يُخرج ما هو منه؛ لذا جعلوا من أنفسهم حراساً على تاريخ الأمة الإسلامية .

كان هذا منهم إتماماً للتاريخ الإسلامي، فكما بدأوا بكتب أوله فكذلك ساروا إلى آخره دون نقص أو ثلب؛ مما قد يجعل للطاعنين علينا سبيلاً. فهذه الأمم أجمع لا تعتز إلا بعزّ تاريخها، ولا تُذَل إلا بضياح تاريخها أو بعضه؛ فتأمل هذا يا رعاك الله .

كذلك أرادوا من ذكر أخبارهم رضي الله عنهم وحفظها العبرة والعظة لمن بعدهم، كما ذكر ذلك أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها فائدتان :

إحداهما : أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله علمت حسن التدبير واستعمال الحزم، وإن ذكرت سيرة مفرط ووصفت عاقبته خفت من التفريط .

ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ليكون روضة للمتنزه في المنقول .

الثانية : أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلبات الزمان، وتصاريف القدر، والنفس تجد راحة بسماع الأخبار^(١).

وبهذا نعلم أن بعض الأحكام الشرعية قد تبينت من خلال ما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم ؛ فمن ذلك : أحكام قتال أهل البغي كما قرر ذلك علي مع المخالفين، وهذا باب واسع ومهم، ولولا ما حصل بينهم من قتال لما علم ذلك؛ والله أعلم^(٢).

كذلك نجدهم لم يذكروا أخبار هذه الفتنة وحوادثها سرداً بلا زمام أو خطام! بل أسندوها إبراء للذمة، في حين نراهم لم يغفلوا هذا الجانب بل لهم عناية بنقد كثير من الروايات والأخبار مع بيان صحيحها من سقيمها، وتوجيه ما أمكن توجيهه .

كذلك لم يكن قصدهم من ذكر وكتابة ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم نشرها وترويجها بين الخاصة والعامة من المسلمين، لا، ما هذا الذي أرادوه بل غاية علمهم أن الذي سيقف مستفيداً من كتبهم هم العلماء خاصة دون عامة المسلمين كما هو مألوف لدى المجتمع .

وبعد هذا : هاك أخي المسلم الكريم ما قاله الإمام المحدث أبو بكر الأجرّي رحمه الله ؛
كي تقرّ عينك ويطمئن قلبك لما سطرنا لك آنفاً؛ حيث نراه يردّ على بعض الاعتراضات والإيرادات نحو ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم :

(١) المنتظم ، لابن الجوزي رحمه الله تعالى ١١٧/١ .

(٢) الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٣٤/٤ وما بعدها .

قال رحمه الله : (ينبغي لمن تدبر ما رسمنا من فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفضائل أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين أن يحبهم، ويترحم عليهم، ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله لهم، ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا، ولا يذكر ما شجر بينهم، ولا ينقر عنهم، ولا يبحث .

فإذا عارضنا جاهل مفتون قد خطي به عن طريق الرشاد، فقال : لم قاتل فلان لفلان؟ ولم قتل فلان لفلان وفلان؟ !

قيل له : ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا ولا اضطررنا إلى علمها .

فإن قال قائل : ولم؟

قيل : لأنها فتن شاهدها الصحابة رضي الله عنهم ، فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها، وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم، وكانوا أهدي سبيلاً ممن جاء بعدهم؛ لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن، وشاهدوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجاهدوا معه، وشهد لهم عز وجل بالرضوان، والمغفرة، والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنهم خير قرن، فكانوا بالله عز وجل أعرف، وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالقرآن، وبالسنة، ومنهم يؤخذ العلم، وفي قولهم نعيش، وبأحكامهم نحكم، وبأدبهم نتأدب، ولهم نتبع، وبهذا أمرنا .

فإن قال قائل : وما الذي يضرنا من البحث عن أخبارهم ومعرفتنا لما جرى بينهم؟

قيل له : الضرر لا شك فيه، وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا أنقص بكثير، ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فننزل عن طريق الحق ونتخلف عما أمرنا فيهم .

فإن قال قائل : وبِمَ أمرنا فيهم؟

قيل : أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم والاتباع لهم ..

فإن قال قائل : إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالماً بما جرى بينهم فأكون على ما كانوا فيه لأنني أحب أن أعلم ذلك ولا أجهله .

قيل له : أنت طالب فتنة؛ لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك، ولو اشتغلت بإصلاح ما لله عز وجل عليك فيما تعبدك به من أداء فرائضه، واجتناب محارمه كان أولى بك .
وقيل له : ولا سيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة.

وقيل له : اشتغالك بمطعمك، وملبسك من أين هو؟ أولى بك، وتمسكك بدرهمك من أين هو؟ وفيم تنفقه أولى بك .

وقيل : لا نأمن أن تكون بتنفيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه، ويلعب بك الشيطان فتسب وتبغض من أمرك الله بمحبته والاستغفار له واتباعه، فتزل عن طريق الحق، وتسلك طريق الباطل^(١) ^(٢).

(١) كتاب الشريعة ، للإمام المحدث أبي بكر محمد الآجري رحمه الله ٢٤٨٥/٥-٢٤٨٧ باختصار.

(٢) http://www.aal-alashab.org/main/articles.aspx?article_no=٣٩

فإلخلاصة أن أهل العلم في حُكْم من طعن أو سبَّ الصَّحابة على قولين :

الأول : ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم، أو انتقصهم وطعن في عدالتهم وصرح ببغضهم، وإن من كانت هذه صفته فقد أباح دم نفسه، وحل قتله؛ إلا أن يتوب من ذلك ويترحم عليهم.

وممن ذهب إلى هذا القول من السلف الصحابي الجليل عبد الرحمن بن أبزى، وغيره من كبار التابعين مثل ل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وأبو بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن يوسف الفريابي، وبشر بن الحارث المروزي، ومحمد بن بشار العبدي. وغيرهم كثير. فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة، وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية.

الثاني : ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسبهم؛ بل يفسق ويضلل؛ بل يكتفي بتأديبه وتعزيره تعزيراً شديداً يردعه ويزجره حتى يرجع عن ارتكاب ضلاله وجرمه، وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى ي ظهر التوبة.

وممن ذهب إلى ما ذهب إليه عمر. بن عبد العزيز : عاصم الأحول، والإمام مالك، والإمام أحمد وكثير من العلماء^(١).

وقد صنّف علماء الإسلام العشرات من الكتب في هذا الباب ، منها :

(١) أنظر تفصيل هذا والمزيد على www.fnoor.com/fn0173.htm

١ - رسالة النهي عن سب الصحابة لمحمد بن سحنون التنوخي (ترتيب المدارك) [٢٠٧/٤].

٢ - النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب للضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي.

٣ - تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام ، أو أحد أصحابه الكرام عليهم الصلاة والسلام لإبن عابدين.

٤ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الإبتداع والضلال الزندقة ، لإبن حجر الهيثمي.

٥ - حكم من سب أحدا من الصحابة للشوكاني.

٦ - السيف المسلول على مبغضي أصحاب الرسول لياسين مصطفى الفرضي.

٧ - الحسام المسلول على منقضي أصحاب الرسول لبحرق اليميني.

٨ - السيف اليماني المسلول في عنق من طعن في أصحاب الرسول لمحمد بن يوسف التونسي.

٩ - السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول للقاضي عياض (كشف الظنون : ١٠١٨/٢ ، وهدية العارفين : ٨٠٥/٢).

١٠ - السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول لتقي الدين السبكي (كشف الظنون).

١١ - الرسالة الوازعي للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين للمؤيد يحيى بن حمزة الطالب ت ٧٤٥.

١٢ - وكتب محمود شكري الألوسي المتوفي سنة [١٣٤٢ هجري]: (صب العذاب على من سب الأصحاب) ذكرها في الإعلام [١٧٣ / ٧] وقد طبعت مؤخرًا.

١٣ - الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الأصحاب لعثمان بن سند.

١٤ - إقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر للسيوطي.

عدالة الصحابة رضي الله عنهم

معنى العدالة :

جاء في معاجم اللغة : (العدل خلاف الجور، يقال : عدل عليه في القضية فهو عادل، وتعديل الشيء : تقويمه، يقال : عدلته فاعتدل، أي : قومته فاستقام).
فمن هذه التعاريف اللغوية يتبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم يظهر منه ريبة، وهو الذي يرضى الناس عنه ويقبلون شهادته ويقتنعون به.

العدالة اصطلاحاً :

تنوعت عبارات العلماء في تعريف العدالة في الاصطلاح ولم تخرج في مجموعها عن أن العدالة والعدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطه وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه، وقال آخر : هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، وليس معها بدعة، وتتحقق باجتنب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر.

هذه بعض تعريفات أهل العلم للعدالة في الشرع، وهي وإن تنوعت عباراتهم إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى

والمروءة، ولا يتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، وأيضاً: لا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق.

ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة، وما صدر من بعضهم مما هو خلاف ذلك كالوقوع في معصية فلا تراه مصراً عليها، بل تراه منيباً إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، وذلك لا يقدر في عدالتهم، لأننا لا ندعي لهم العصمة من الزلل. ومفهوم عدالة الصحابي لا تقتضي العصمة للأفراد، إنما العصمة في إجماعهم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة. فعصمتهم في مجموعهم، أما كأفراد فهم غير معصومين.

وإذا تقرر لك عدالة جميع من ثبتت له الصحبة، علمت أنه إذا قال الراوى عن رجل من الصحابة، ولم يسمه كان ذلك حجة، ولا يضر - الجهالة، لثبوت عدالتهم على العموم^(١).

و قال الإمام الجويني: "ولعل السبب في قبولهم من غير بحث عن أحوالهم، والسبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله، أن الصحابة هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقف في رواياتهم، لانحصرت الشريعة على عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما استرسلت

(١) أنظر: إرشاد الفحول، للشوكاني، ٢٧٨/١، فتح المغيث، للسخاوى، ٩٧/٣.

على سائر الأعصار"^(١).

وعلى هذا سائر علماء المسلمين.

قال ابن الصلاح (ت : ٦٤٣ هـ) رحمه الله : "للصحابه بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم بل ذلك مفروغ منه لكونهم على الاطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة واجماع من يعتد به في الاجماع من الأمة ، قال الله تبارك وتعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) "آل عمران : ١١٠". الآية ، قيل : اتفق المفسرون على أنه وارد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ " البقرة : ١٤٣ ". وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ ...) .

ثم قال : (ان الأمة مجمعة على تعديل الصحابة ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك باجماع العلماء الذين يعتد بهم في الاجماع احسانا للظن بهم ونظرا الى ما تمهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الاجماع احسانا للظن بهم ونظرا الى ما تمهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى وأتاح الاجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم)^(٢).

وقال الخطيب (ت : ٤٦٣ هـ) رحمه الله : "باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة (وأنه لا يحتاج الى سؤال عنه وانما يجب فيما دونهم) . ثم قال - (عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن) . - ثم ساق نصوصا في ذلك - الى أن قال : (والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في

(١) البرهان في أصول الفقه ، ٢٤٢/١ ، إرشاد الفحول ٢٧٥/١

(٢) مقدمة ابن الصلاح ، ١٧٦

نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم الى تعديل أحد من الخلق له فهم على هذه الصفة الا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل الا قصد المعصية ، والخروج من باب التأويل ، فيحكم بسقوط العدالة وقد برّاهم الله من ذلك ، ورفع أقدارهم عنه ، على أن لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد من النصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين ، القطع على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل جميع هذا المذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء^(١).

وقال الغزالي (ت : ٥٠٥ هـ) رحمه الله : "الفصل الرابع في عدالة الصحابة رضي الله عنهم : والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلف أن عدالتهم معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل"^(٢).

وقال ابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) رحمه الله : "ولأن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدنا ورواتها وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا

(١) الكفاية في علم الرواية ، ٦٣ - ٦٦ .

(٢) المستصفى ، ١٣٠ .

جهلهم الانسان كان بغيرهم أشد جهلا وأعظم انكارا فينبغي أن يعرفوا بانسابهم وأحوالهم هم وغيرهم من الرواة حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم وتقوم به الحجة فإن المجهول لا تصح روايته ولا يبغي العمل بما رواه، والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح لأن الله عز وجل ورسوله زكياهم وعدلاهم وذلك مشهور لا نحتاج لذكره"^(١).

قال ابن عبد البر (ت : ٤٦٣ هـ) رحمه الله : " ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منه"^(٢).

وقال في التمهيد : "جميعهم ثقات مأمونون عدل الرضى ، فوجب قبول ما نقل كل واحد منهم وشهد به على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ...) ثم قال : (وهم أولو العلم والدين والفضل ، وخير أمة أخرجت للناس ، وخير القرون ، ومن قد رضي الله عنهم ، وأخبر بأنهم رضوا عنه ، وأثنى عليهم بأنهم الرحماء بينهم ، الأشداء على الكفار ، الركع السجود ، وأنهم الذين أوتوا العلم"^(٣).

وقال القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) رحمه الله : "فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياءه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله ، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه

(١) أسد الغابة ، ٣/١ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١/١ .

(٣) التمهيد ، ١/٤ .

الجماعة من أئمة هذه الأمة وقد ذهبت شردمة لا مبالاة بهم الى أن حال الصحابة كحال غيرهم"^(١).

قال النووي (ت : ٦٧٦ هـ) رحمه الله : "الصحابة كلهم عدول ، من لابس الفتن وغيرهم باجماع من يعتد به"^(٢).

وقال ابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) رحمه الله : "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وبها نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه فيه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل). ثم قال : (وقول المعتزلة الصحابة عدول الا من قاتل عليا قول باطل مردود ومردود)"^(٣).

وقال العراقي (ت : ٨٠٦ هـ) رحمه الله : "إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد"^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ٢٨٥/١٦ - ٢٨٦ .

(٢) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي ٢/٢١٤ .

(٣) الباحث الحديث ، ١٨١ .

(٤) شرح ألفية الحديث المسماة بالتبصرة والتذكرة ، ٣/١٣ .

قال الحافظ ابن حجر (ت : ٨٥٢ هـ) رحمه الله : " اتفق أهل السنة على ان الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المبتدعة"^(١).

وقال السخاوي (ت : ٩٠٢ هـ) رحمه الله : " وهم رضي الله عنهم باتفاق أهل السنة عدول كلهم مطلقاً كبيرهم وصغيرهم لابس الفتنة أم لا وجوباً لحسن الظن، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر من امثال أوامره بعده صلى الله عليه وآله وسلم وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس ومواظبتهم على الصلاة والزكاة وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والإيثار والخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة"^(٢).

وقال ابن حجر الهيثمي (ت : ٩٧٣ هـ) رحمه الله : " في الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : (اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تركية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم"^(٣).

وغيرها كثير لا يسعنا حصرها.

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ، ١٧/١ .

(٢) فتح المغيب شرح ألفية الحديث ، ١٠٨/٣ .

(٣) الصواعق المحرقة ، ٣٢٥ .

فضل الصحابة رضي الله عنهم على سائر أصحاب الأنبياء

تحقق في جميع هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم ما لم يتحقق في غيرهم من بدء الخليقة إلى قيام الساعة، إن عوامل الخير التي تجمعت في هذا الجيل لم تجتمع في جيل قبله أو جيل بعده، ولهذا فلهم عند الله الشرف والكرامة ما ليس لغيرهم.

قال الدكتور فاروق حمادة :

وقارن أيها القارئ الكريم بين صحب موسى عليه السلام وهو يقول لهم : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكِسُوا ظُهُورَكُمُوعًا وَعَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَلَا حَرْبُ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُ وَالَّذِينَ يُبَدِّلُونَ مَوَاقِدَ الْكِبْرِ وَالْحَقِيقَةِ لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْكُمْ فَسَافِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا فَسَيَبْذُرُونَ الْكِبْرَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَسَافِرُوا فِيهَا لِيَسْأَلَ الْفَاسِقِينَ ﴾ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠-٢٦].

وبين صحب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد لا قوا عدوهم على غير ميعاد، وغير استعداد فوقف فيهم خطيباً صلوات الله وسلامه عليه، وقال لهم: "أشيروا على أيها الناس"، فقام الصديق فقال: واحسن القول، ثم قام عمر فقال: وأحسن القول، ثم قام المقداد بنت عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾.

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا على برك الغماد لجالدنا معك دونه حتى تبلغه. ثم قام سعد بن معاذ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: "أجل". قال: فقد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، وصدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: "سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم".

إنهم جيل نصر، وثلة خير، وأئمة دعوة، أما أولئك فأجيال هزيمة وطلاب دنيا وشتان شتان بين هؤلاء وأولئك^(١).

(١) فضائل الصحابة للنسائي تحقيق ودراسة د. فاروق حمادة، ٩.

ثم قال حفظه الله : أما علمت أيها القارئ الكريم أن أصحاب عيسى وحوارييه الذين غرس فيهم لين الجانب وحسن المعاملة هم الذين طلبوا منه أن يريهم معجزاته ، ويبرهن لهم على قدرة ربه قال تعالى فيهم : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢-١١٣].

ومن صيغة الآية يتبين لك قلة معرفة أولئك الحواريين بربهم ، وهذا لم يكن في يوم من الأيام في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهم لم يسألوه معجزة أو شيئاً من ذلك والنصوص بين يديك ففتشها . انتهى .

قلت : ويكفي في هذه القضية والحكم فيها بأن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم أجمعين أفضل من سائر صحابة النبيين والمرسلين قال الله عز وجل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠].

وكذلك جعلهم الله عز وجل شهداء على الناس يوم القيامة كما في الحديث عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب . فيقول : هل بلغت فيقول : نعم . فيقول لأئمة : هل بلغكم؟ فيقول : ما أتانا من نذير . فيقول : من يشهد لك؟ فيقول : محمد وأئمة فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليهم شهيداً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿البقرة: [١٤٣].

والوسط العدل^(١) فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم خير الرسل وأتمته خير الأمم ببركة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة"^(٢).

والمعنى أن هذه الأمة آخر الأمم خلقاً وأولهم دخولاً الجنة.

ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم أولى الناس بكل فضل ثبت لهذه الأمة أنهم المشافهون بذلك، مع ما اختصوا به من مشاهدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأخذ عنه، وقد هدى الله عز وجل ببركة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من البيئات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين حتى حصل لأمتة المؤمنين به عموماً، ولأصحابه منهم خصوصاً من العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق العظيمة والسنن المستقيمة شيئاً عظيماً، فله الحمد والمنة كما يجب ربنا ويرضى.

(١) أخرجه البخارى ٣٣٣٩ ، ٤٤٨٧ ، ٧٣٤٩ ، والترمذى ٢٩٦١ وابن ماجه ٤٢٨٤ وأحمد ٣٢/٣ ، ٥٨ من طرق عن الأعمش عن أبي صالح عنه به. وقال أبو عيسى : حسن صحيح. قلت : وليس عند ابن ماجه وأحمد ٣٥٨/ ذكر نوح عليه السلام.

(٢) رواه البخارى ٣٥٤/٢ الجمعة ، ومسلم ١٤٢/٦ ، ١٤٣ الجمعة ، والنسائى ٨٥/٢ ، ٨٦ الجمعة. قال السيوطى : أى : الآخرون زماناً الأولون منزلة والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها فى الدنيا عن الأمم الماضية فهى سابقة لهم فى الآخرة بأنهم أول من يحضر وأول من يجاسب وأول من يقضى بينهم وأوا من يدخل الجنة. وقال السندى : وقيل : المراد به السبق إلى القبول والطاعة التى حرمها أهل الكتاب فقالوا : سمعنا وعصينا.

قال عبد القادر الجيلاني في غنية الطالبين : ويعتقد أهل السنة ان أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير الأمم أجمعين وأفضلهم أهل القرن الذين شاهدوه وآمنوا به وصدقوه وبايعوه وتابعوه وقاتلوا بين يده وفدوه بأنفسهم وأمواهم وعززوه ونصروه ، وأفضل أهل القرن أهل الحديبية الذين بايعوه بيعة الرضوان وهم ألف وأربعمائة رجل ، وأفضلهم أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر- رجلاً عدد أصحاب طالوت ، وأفضلهم الأربعون أهل الخيزران الذين كملوا بعمر بن الخطاب ، وأفضلهم العشرة الذين شهدوا لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح ، وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار الخلفاء الراشدين الأربعة الأخيار أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنه ^(١).

قلت : وأتى صريحاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أبا بكر وعمر أفضل الأولين والآخرين بعد الأنبياء والمرسلين وهو ما رواه جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وأنس بن مالك وأبو جحيفة وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين" وهو عند ابن ماجه بزيادة "إلا النبيين والمرسلين" ^(٢).

(١) نقلاً عن الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة للنهائي ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ باختصار.

(٢) رواه الترمذى ٣١٠/٤ وابن ماجه ٩٥ صحيح ابن ماجه وقال الألبان في الصحيحة ٨٢٤ وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب وكأنه لذلك رمز له السيوطى بالصحة.

الخلاصة

فخلاصة أقوال العلماء في كل ما ورد يتلخص في :

إن الله عز وجل زكى ظاهرهم وباطنهم؛ فمن تزكية ظواهرهم وصفهم بأعظم الأخلاق الحميدة، ومنها: أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ... [الفتح: ٢٩]، وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحشر: ٨]، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ... [الحشر: ٩]. أما بواطنهم فأمر اختص به الله عز وجل، وهو وحده العليم بذات الصدور. فقد أخبرنا عز وجل بصدق بواطنهم وصلاح نياتهم؛ فقال على سبيل المثال: فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ... [الفتح: ١٨]، يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ... [الحشر: ٩]، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... [الفتح: ٢٩]، لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ... [التوبة: ١١٧]. فقد تاب عليهم لما علم صدق نياتهم وصدق توبتهم. وهذه الآية التي جاء فيها عتاب للصحابة أو لبعضهم لارتكابهم بعض المعاصي لخير دليل على أن المراد بعدالتهم جميعاً عصمتهم من الكذب في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس معنى عدالتهم عصمتهم من المعاصي أو من السهو أو الغلط، فهذا لم يقل به أحد من أهل العلم. وحتى مع ارتكاب بعضهم لبعض الذنوب، فقد امتن الله عز وجل عليهم بالتوبة والمغفرة لذنوبهم. وما هذه المنة من ربهم عز وجل إلا بيان لعباده مؤمنهم وكافرهم إلى قيام الساعة بعظم مكانة من اختارهم لصحبة سيد أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله وسلم

وأن التجريح والقدح في تلك المكانة والعدالة إنما هو تجريح وقدح فيمن بوأهم تلك المكانة ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

▪ بسبب توفيق الله عزوجل لهم لأعظم خلال الخير ظاهراً وباطناً أخبرنا أنه رضي عنهم وتاب عليهم، ووعدهم الحسنی .

▪ وبسبب كل ما سبق أمرنا بالاستغفار لهم، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإكرامهم، وحفظ حقوقهم، ومحبتهم. ونهينا عن سبهم وبغضهم. بل جعل حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق.

ومن الطبيعي بعد ذلك كله أن يكونوا خير القرون، وأماناً لهذه الأمة. ومن ثم يكون اقتداء الأمة بهم واجباً، بل هو الطريق الوحيد إلى الجنة : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"^(١).

يقول الإمام مالك في الذين يقدحون في الصحابة : "إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال : رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين"^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "الطعن فيهم طعن في الدين"^(٣).

(١) رواه أحمد ٤/١٢٦ ، ١٢٧ وأصحاب السنن والدارمي . والحديث صححه جماعة من المحدثين . - انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث ٣٨ ، ٣٨٧ ، دار الفرقان ط . الأولى ١٤١١هـ وانظر الإرواء ٢٥٤٤ ٨/١٠٧ للتوسع . انظر اعتقاد أهل السنة في الصحابة ي محمد عبد الله الوهبي .

(٢) الصارم المسلول ، ٥٥٣ .

(٣) منهاج السنة ١/١٨ .

وكما قال أبو زرعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"^{(١)(٢)}.

أما الشبهات التي أثيرت حول الصحابة رضي الله عنهم فراجع كتاب "دفاعاً عن الآل والأصحاب" الأصيل والمختصر، وهما من إصدارات جمعية الآل والأصحاب^(٣).

وختاماً نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الكفاية، ٤٩.

(٢) أنظر: www.fnoor.com/fn0336.doc

(٣) راجع موقع الجمعية على الرابط: <http://www.aal-alashab.org>

أهم مواضيع الكتاب

- ٠٠٢ مقدمة الكتاب
- ٠٠٦ تعريف الصحابي
- ٠٠٧ فضائل الصحابة رضي الله عنهم من القرآن الكريم
- ٠٣٠ فضائل الصحابة رضي الله عنهم من السنة
- ٠٣٩ موقف آل البيت من الصحابة رضي الله عنهم
- ٠٥٥ أقوال علماء المسلمين في الصحابة رضي الله عنهم
- 091 الكلام فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم
- ١٠٢ حكم من طعن أو سب الصحابة رضي الله عنهم
- ١٠٥ عدالة الصحابة رضي الله عنهم
- ١١٢ فضل الصحابة رضي الله عنهم على سائر أصحاب الأنبياء عليهم السلام
- ١١٧ الخلاصة
- ١٢٠ أهم مواضيع الكتاب